دفع الأصحاب ﷺ عن النبي ﷺ

د/ البدري عبد المجيد أحمد مدرس في قسم الحديث في الكلية

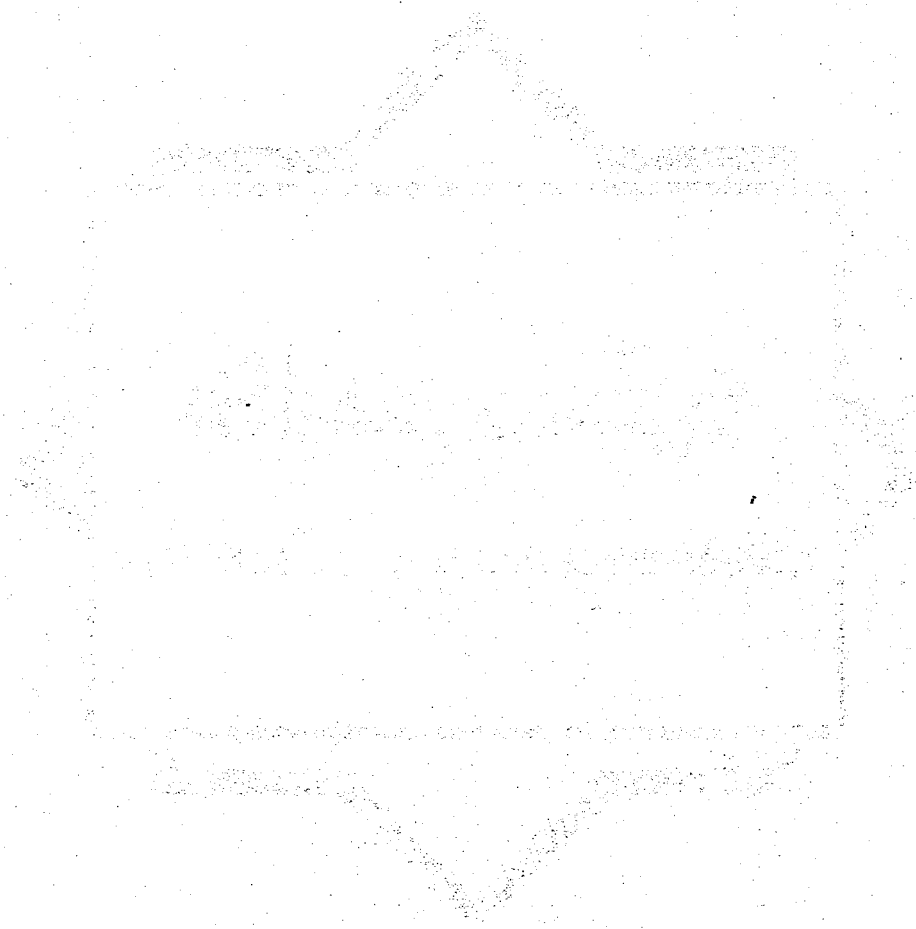

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه الغر الميامين .

وبعـــد

فإن رسول الله ﷺ ارتفع قدره ، وعلا شأنه برفعة الله عز وجل له ، حيث يقول سبحانه {وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}(١)، فصفات الفضل فيه ظاهرة ، ومظاهر الفضيلة على شخصه الكريم ﷺ نيره ، لكنه مع ثبوت دعائم التقدير والتقديم فى حقه ﷺ ، ترى أناساً من البشر يبارزونه بالعداء ، ويقصدون ساحته بالاعتداء ، لمزاً بالألفاظ القبيحة ، وفعلاً بالتعديات المريعة .

إن تلك المواجهة السيئة من قبل أعداء الإسلام لنبى الإسلام ﷺ ، لم يقف أصحابه الكرام ﷺ أمامها مكتوفى الأيدى ، أو غامضى الأبصار ، وإنما كانت لهم عزمتهم الإيمانية فى الدفع عن رسول الله ﷺ ، فالذى بارز رسول الله ﷺ باللسان ، ألجمه الصحابة ﷺ الحجة فى المقال ، والذى تجرأ على قدر رسول الله ﷺ بسوء الفعال ، أهان الأصحاب ﷺ قدره فى ساحة القتال .

لعل ما أظهره أصحاب رسول الله ﷺ من الحرص التام على الدفع عن رسول الله ﷺ ونصرته قولاً وفعلاً ، يكون أسوة حسنة لمن خلفهم من الأمة الإسلامية ، به يتخلقون ، وعلى نهجه يسيرون ، إذ الأمة جميعها – وإلى يوم القيامة – متعبدة بالدفاع عن رسول الله ﷺ ، والذود عن حياضه – إذ فى هذا رفعةً لقدر نبيهم ، وحفاظاً على سلامة دينهم– لاسيما وقد كثرت فى هذه الأيام الهجمات الشرسة ضد نبى الإسلام ﷺ، وهذا ما دفعنى إلى الكتابة فى هذا الموضوع الذى عنونت له: "دفع الأصحاب –رضى الله عنهم – عن النبى ﷺ سيئ الأقوال والأفعال والأعراض " مقسماً إياه إلى ثلاثة مباحث رئيسية :

المبحث الأول: دفع الأصحاب ﷺ عن النبى ﷺ سيئ الأقوال .

المبحث الثانى: دفع الأصحاب ﷺ عن النبى ﷺ سيئ الأفعال .

---

(١) سورة القلم الآية ٤ .

المبحث الثالث: دفع الأصحاب -رضى الله عنهم- عن النبى ﷺ سيئ الأعراض.

ولقد راعيت فى دارسة هذا الموضوع إظهار الصبغة الحديثية من خلال إبراز ما صح من أدلة – وما قبل أحياناً – معتمداً على صحيحى البخارى ومسلم – رحمهما الله تعالى – وغيرهما من كتب السنة – مقدماً فى الأصل – صحيح الإمام البخارى ، وتارة أقدم صحيح الإمام مسلم فى الأصل – إذا كان موطن الشاهد فيه أوضح – ثم استعنت بأقوال أهل العلم المعتمدين فى بيان مواطن الفضل فى الروايات التى قدمتها شاهداً عند عرض الأدلة ، كما بينت بعض الألفاظ الغريبة ، وبعض التراجم للأعلام ، ثم ذيلت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج والتوصيات ، ثم ذكرت أهم المراجع التى استقيت منها المادة العلمية لهذا البحث .

هذا وإنى لأرجو الله عز وجل أن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم ، كما أرجوه سبحانه أن ينفع به قارئه وسامعه وكاتبه ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه التوكل والاعتماد ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

د / البدرى عبد المجيد أحمد سالم

المبحث الأول
دفع الأصحاب عن النبى ﷺ سيئ الأقوال

تمهيد :

أطال أعداء رسول الله ﷺ اللسان قدحاً وذماً فى حقه ﷺ حيث جهروا بما ساء من ألفاظ ، ونطقوا بما خبث من كلمات ، تنوعاً بين مفردات السب والقذف والشتم وما يفضى إلى الانتقاص ؛ مما يدل على خبث طويتهم تجاهه ﷺ .

إن ألفاظ القدح تلك ، لم يكتف المتقولون بها عند حد الإذاعة لها فى غير مجلسه ﷺ ، وإنما تجرأ بعضهم مواجهاً لرسول الله ﷺ بذلك ، رغبة فى النيل منه ﷺ ، وقصداً إلى التعدى على علو قدره .

لقد ظن أعداء النبى ﷺ أنهم بمنأى عن رد كيدهم ، وصد لمزهم ، فإذا بهم يجابهون بمواقف تذكر بالحمد والثناء لأصحاب رسول الله ﷺ ، إذ ترى وتسمع من الصحب الكرام ﷺ أفراداً وجماعات – ما ينشرح به صدر المسلم دفعاً عن رسول الله ﷺ ، ونصرة لكريم منزلته وعظيم قدره.

برغم تنوع صور القدح فى حق رسول الله ﷺ من قبل أعدائه وتعدد مواطنها ، لكنها قوبلت بالصد وحسن الرد من قبل أصحاب رسول الله ﷺ دفعاً عن نبيهم ﷺ ونصرة لعلو شأنه .

أولاً : دفعهم عنه ﷺ سيئ الأقوال فى حضوره :

جاهد رسول الله ﷺ وأجهد نفسه فى سبيل إبلاغ رسالة ربه عز وجل حيث تحمل الكثير من الإيذاءات الحسية والمعنوية تبعاً لذلك، لكنه صبر وتجلد على كل، واستطاب ذلك نصرة لدين الله ورفعة لراية التوحيد .

لم يقف أصحاب رسول الله ﷺ مكتوفى الأيدى مغلقى الأفواه وهم يرون البشير النذير ﷺ يلقى خبيث المعاملة من أعداء الإسلام ، وإنما كان لهم دورهم البارز فى الدفاع عنه ﷺ وفى الذب عن حياض عظيم قدره وعلو مكانته .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى أنس ﷺ قال : قيل للنبى ﷺ لو أتيت عبد الله بن أبى فانطلق إليه النبى ﷺ وركب حماراً فانطلق المسلمون يمشون معه وهى أرض سبخة[١]، فلما أتاه النبى ﷺ قال: إليك عنى، والله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، فشتمه، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما الضرب بالجريد والأيدى والنعال، فبلغنا أنها أنزلت {وإن طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}[٢] [٣] .

الرسول ﷺ يحرص على الأخذ بأيدى أهل الضلالة ، متحملاً الجهد والمشقة فى الانتقال إلى مجالسهم ، راضياً بما يلقاه من عثرات فى سباخ الأرض ، لكنَّ هذا لا يجدى مع من تمكنت عداوة الإسلام فى قلبه ، فإذا به يجابه الداعى ﷺ بسيئ الأقوال وخبيث الألفاظ – (آذانى نتن حمارك) – مقدماً التمسك بفساد المعتقد ، على من جاء يدله على صحيح العقيدة .

تحمل الداعى إلى الخير ألفاظ الشر تلك ، صفحاً وحلماً وصبراً على أذى أعدائه، حرصاً منه على البلاغ، وجمعاً للقلوب علىَ ما جاء يدعو إليه من فضائل فى الأخلاق والمعتقدات.

يقول الإمام النووى رحمه الله تعالى: وفى الحديث بيان ما كان عليه النبى ﷺ من الصفح والحلم والصبر على الأذى فى الله، ودوام الدعاء إلى الله تعالى وتألف قلوبهم[٤].

إن هذا الموقف السيئ من عبد الله بن أبى بن سلول مع رسول ﷺ ، وإن أحسن رسول الله ﷺ تحمله ، لكن أصحابه الكرام ﷺ ، لم يكن لهم السكوت على ذلك ، فإذا

---

(١) الأرض السبخة : هى الأرض التى تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر . النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢/٣٠٠ .

(٢) سورة الحجرات : الآية ٩.

(٣) صحيح البخارى – كتاب : الصلح – باب ما جاء فى الإصلاح بين الناس ٢/٨١٨ رقم ٢٦٩١، صحيح مسلم – كتاب : الجهاد والسير – باب فى دعاء النبى ﷺ وصبره على أذى المنافقين ٣/١٤٢٤ رقم ١١٧ فى الباب .

(٤) شرح النووى على صحيح مسلم ٦/٤٠٠.

بالمبادرة تأتى من صحابى جليل لم يوقف على اسمه من قوم ابن سلول ، فيعلنها صريحة " والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك " فتندفع الوقيعة برسول الله ﷺ فى موطن القدح ، ويثبت الواقع علو قدره ﷺ ، كل هذا محبة لرسول الله ﷺ وحرصاً على الدفع عنه ، ورداً لكيد أعدائه .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : وفيه ما كان الصحابة عليه من تعظيم رسول الله ﷺ والأدب معه والمحبة الشديدة ، وفيه جواز المبالغة فى المدح ؛ لأن الصحابى أطلق أن ريح الحمار أطيب من ريح عبد الله بن أبى وأقره النبى ﷺ على ذلك [١] .

إذا كان رسول الله ﷺ آية فى الحرص على البلاغ ، فهو على هذا القدر العظيم فى تطبيق المنهج الذى يبلغ به على اختلاف صور المتابعة والتطبيق ، حتى كأن عدالته وسلامة وضعه الأمور فى نصابها تنطق بذاتها ، لكن هل هذا الخلق منه ﷺ يرضى الذين فى قلوبهم مرض ؟

أخرج مسلم فى صحيحه بإسناده إلى أبى سعيد الخدرى ﷺ يقول: بعث على بن أبى طالب إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهبة فى أديم مقروظ[٢] لم تحصل من ترابها ، قال فقسمها بين أربعة نفر بين عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، وزيد الخيل ، والرابع إما علقمة بن علاثة وإما عامر بن الطفيل ، فقال رجل من أصحابه [٣] ، كنا نحن أحق بهذه من هؤلاء ، قال فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال : " ألا تأمنونى! وأنا أمين من فى السماء، يأتينى خبر السماء صباحاً ومساءً"، قال: فقام رجل غائر العينين[٤] ، مشرف الوجنتين ، ناشز الجبهة [٥] ، كث اللحية ، محلوق الرأس، مشمر الإزار فقال: يا رسول الله اتق الله ، فقال : " ويلك ، أولست أحق أهل الأرض أن يتقى الله " قال ثم ولى الرجل ، فقال خالد بن الوليد ﷺ : يا رسول الله ألا أضرب عنقه ؟ فقال : لا لعله

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٣٥٣/٥ رقم ٢٦٩١.

(٢) القرظ : شجر يدبغ به ، وقيل : هو ورق السلّم يدبغ به الأدم ، ومنه أديم مقروظ ، وقيل : القرظ أجود ما تدبغ به الأهب فى أرض العرب . لسان العرب ٧ / ٤٥٤ .

(٣) قال الحافظ ابن حجر : لم أقف على اسمه . فتح البارى ٧ / ٦٦٧ رقم ٤٣٥١ .

(٤) هذا الرجل هو ذو الخويصرة التميمى . فتح البارى ٧ / ٦٦٧ رقم ٤٣٥١ ، وصرح به فى رواية البخارى فى صحيحه – كتاب : المناقب – باب علامات النبوة فى الإسلام ٣ / ١١١٣ رقم ٣٦١٠ .

(٥) أى : مرتفعها – النهاية فى غريب الحديث ٤٨/٥ .

أن يكون يصلي ، قال خالد : وكم من مصلي يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، فقال رسول الله ﷺ : إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ، ولا أشق بطونهم قال : ثم نظر إليه وهو مقف[١] فقال:" إنه يخرج من ضئضئ [٢] هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية" قال: أظنه قال: لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود " [٣].

أرأيت الجرأة من أهل النفاق على رسول الله ﷺ إذ يقدح بعدم العدالة فيمن خاطبه الخالق سبحانه بقوله { فَلا وربِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً }[٤] ، لكن هيهات أن يمر على أصحاب رسول الله ﷺ هذا الموقف دون أن يعلنوا العداء لمن أظهر لرسول الله ﷺ البذاء ، فإذا بخالد بن الوليد ﷺ يستأذن رسول الله ﷺ " ألا أضرب عنقه " ، وكأن خالداً ﷺ لم ير شفاءً لما في نفسه من بغض من أخطأ في حق رسول الله على هذه الصورة إلا القتل ، أو لم ير ردعاً لمن ساء خلقه مع خير الأنام ، إلا حد الحسام .

موقف إيماني من سيدنا خالد ﷺ يذكر فيشكر عند الأمة وعند الله عز وجل ، لكن رسول الله ﷺ لرحمته وسعة حلمه لم يقبل من خالد ﷺ حرصه على قتل ذلك البذئ ومراجعته في هذا الأمر ؛ لأنه لم يؤمر بالتنقيب عما في قلوب الناس ، معطياً لخالد ﷺ وللأمة المنهج الإسلامي في التعامل مع الغير ، كيف ومعرفته ﷺ بحال باطن الرجل ظاهرة ؟ لكنها الرحمة منه ﷺ وشرعة الإسلام لمن بعده ، وحرصه على عدم التنفير عن دخول غير هذا الرجل في الإسلام لو سارع في الرضا بقتله .

لا يزال العداء لرسول الله ﷺ من قبل الرافضين لدعوته مستمراً ، إذ لا ينفك قصد القدح والانتقاص لنبي الدعوة ﷺ عند أولئك أفراداً وجماعات ، يعلنون هذا على الملأ ، على اختلاف الأماكن والأزمان .

---

(١) أي : ذهب مولياً ، وكأنه من القفا : أي أعطاه قفاه وظهره . النهاية في غريب الحديث ٨٣/٤ .

(٢) الضئضئ : الأصل يقال : ضئضئ صدق وضؤضؤ صدق ، يريد أنه يخرج من نسله وعقبه . النهاية في غريب الحديث والأثر ٣ / ٦٤ .

(٣) صحيح مسلم كتاب: الزكاة – باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٧٤٢/٢ رقم ١٤٤، صحيح البخاري– كتاب : أحاديث الأنبياء – باب قول الله تعالى { وإلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً ....} ١٠٣٠/٢ رقم٣٣٤٤.

(٤) سورة النساء: الآية ٦٥ .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى البراء بن عازب ﷺ[١] يحدث قال : .... وفيه ... فقال أبو سفيان : أفى القوم محمد "ثلاث مرات " فنهاهم النبى ﷺ أن يجيبوه ، ثم قال : أفى القوم ابن أبى قحافة " ثلاث مرات " ثم قال : أفى القوم ابن الخطاب " ثلاث مرات " ، ثم رجع إلى أصحابه فقال : أما هؤلاء فقد قتلوا ، فما ملك عمر نفسه فقال : كذبت والله يا عدو الله إن الذين عددت لأحياء كلهم ، وقد بقى لك ما يسوؤك ، قال : يوم بيوم بدر والحرب سجال ، إنكم ستجدون فى القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤنى ، ثم أخذ يرتجز : أعل هبل أعل هبل ، قال النبى ﷺ : ألا تجيبونه ؟ قالوا يا رسول الله ما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعلى وأجل ، قال: إن لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبى ﷺ : " ألا تجيبونه " قالوا : يا رسول الله ما نقول ؟ قال : قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم " [٢].

إنها الشماتة ومحبة التشفى لما أصاب رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ يوم أحد ، كما تظهر صورة القصد إلى تمنى الموت لقائد المسلمين الأول ﷺ ، فإذا بقائد أعدائه يرفع بها رأسه " أما هؤلاء فقد قتلوا " وخص أبا بكر وعمر – رضى الله عنهما – لقربهما من رسول ﷺ ، ولذا يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : وفى الحديث من الفوائد منزلة أبى بكر وعمر عند النبى ﷺ وخصوصيتهما به ، بحيث كان أعداؤه لا يعرفون بذلك غيرهما ، إذ لم يسأل أبو سفيان عن غيرهما[٣] .

لكن هذا الإعلان بالعداء لرسول الله ﷺ ودعوته والرغبة فى القضاء عليه لم يرق لعمر بن الخطاب ﷺ فإذا به يجهر بالنقيض ، فيعلن على الملأ سلامة رسول الله ﷺ من أذى أهل الكفر ورغباتهم ، ثم يتبعها بتقرير الفضيلة فى نجاة رسول الله ﷺ من القتل، بأن ذلك مما يسوء أعداءه وعلى رأسهم من أظهر الرغبة فى موته ﷺ .

---

(١) البراء بن عازب بن الحارث الأنصارى الأوسى يكنى أبو عمارة ، ويقال : أبو عمرو ، له ولأبيه صحبة ، استصغر يوم بدر وشهد أحداً وما بعدها ، وهو الذى افتتح الرى سنة أربع وعشرين وخولف هذا القول ، وشهد غزوة تستر ، وشهد مع على رضى الله عنه الجمل وصفين وقتال الخوارج ونزل الكوفة وابتنى بها داراً ، ومات فى إمارة مصعب بن الزبير سنة اثنتين وسبعين . الإصابة ١ / ١٤٧ ترجمة ٦١٥ .

(٢) صحيح البخارى – كتاب : الجهاد والسير – باب : ما يكره من التنازع والاختلاف فى الحرب وعقوبة من عصى إمامه ٩٣٣/٢ رقم ٣٠٣٩ ، مسند الإمام أحمد ٤ / ٢٩٣ رقم ١٨٦١٦ .

(٣) فتح البارى ٤٠٨/٧ رقم ٣٠٣٩ .

لاقى رسول الله ﷺ الكثير من المجاهرة بالألفاظ السيئة ، فإذا به ﷺ يعطى القدوة فى حسن التجلد والتصبر ، إضافة إلى تقرير أخلاق الحلم والسماحة خدمة للدعوة وتأليفاً للمدعوين ؛ وتعليماً لأتباعه من الدعاة إلى هذا الدين .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى أبى هريرة ﷺ أن رجلاً تقاضى رسول الله ﷺ فأغلظ له [١] ، فهم أصحابه ، فقال : دعوه ، فإن لصاحب الحق مقالاً ، واشتروا له بعيراً فأعطوه إياه وقالوا : لا نجد إلا أفضل من سنه قال : اشتروه فأعطوه إياه ، فإن خيركم أحسنكم قضاءً " [٢].

إن من الأدب وحسن الأخلاق إذا كان لمرء على آخر ديناً فأراد أن يتقاضى دينه أن يحسن أسلوب المطالبة بدينه ، لاسيما إذا كان المدين من أهل الفضل ومن شهر بحسن القضاء ، لكن هذا الموقف يظهر صاحب الدين فى صورة سيئة بعيدة عن حسن التقاضى ، إذ مظاهر الغلظة والجفاء تطغى على سلوك هذا الرجل – يقول الإمام النووى رحمه الله تعالى : وهذا الإغلاظ المذكور محمول على تشدد فى المطالبة ونحو ذلك من غير كلام فيه قدح أو غيره مما يقتضى الكفر ، ويحتمل أن القائل الذى له الدين كان كافراً من اليهود أو غيرهم [٣] – ومع من ؟ مع رسول الله ﷺ فترى كيف موقف الأصحاب ﷺ وموقف النبى ﷺ من هذا الرجل ؟

صورتان من معالى الأخلاق تبدوان على يدى رسول الله ﷺ وأصحابه :

إحداهما : وقوف الأصحاب ﷺ فى جوار نبيهم ونبى الإسلام ﷺ يدفعون عنه جفوة الأعداء وإغلاظ القساة ، فإذا بالأصحاب ﷺ تراهم يهمون بذلك دفعاً لقسوته ، أو تأديباً له على جرأته ، أو قصداً إلى قطع شأفته ، كل هذا هين فى حق رجل أغلظ لرسول الله ﷺ فى القول وأساء له فى الأقوال .

---

(١) القصة وقعت لأعرابى وكأنه جرى على عادته من جفاء المخاطبة. فتح البارى ٦٩/٥ رقم٢٣٩٠.

(٢) صحيح البخارى :كتاب : الاستقراض – باب استقراض الإبل ٧١٢/٢ رقم ٢٣٩٠ ، صحيح مسلم – كتاب : المساقاة – باب : من استلف شيئاً فقضى خيراً منه ٣ / ١٢٢٥ رقم ١٢٠ ، سنن الترمذى – كتاب : البيوع – باب : ما جاء فى استقراض البعير أو الشىء من الحيوان أو السن ٣ / ٥٩٩ رقم ١٣١٧ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم ٤٣/٦ .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : قوله " فهم به أصحابه " أى أراد أصحاب النبى ﷺ أن يؤذوه بالقول أو الفعل لكن لم يفعلوا أدباً مع النبى ﷺ (١).

والثانية : عظيم موقفه ﷺ مع من أغلظ له فى القول ، حيث أخلاق الحلم والأناة وحسن التجلد " دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً " ومعناه كما ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : أى صولة الطلب وقوة الحجة لكن مع مراعاة الأدب المشروع (٢).

وما دام له قوة الحجة فلا مناص عن تحمل ألفاظه التى لا تخرج إلى صور البذاءة أو القدح أو السباب مما جرت العادة على تحمله فى مثل هذا الموقف ؛ولذا يقوم الإمام النووى رحمه الله تعالى : قوله " إن لصاحب الحق مقالاً " فيه : أنه يحتمل من صاحب الدين الكلام المعتاد فى المطالبة (٣).

لم يكتف رسول الله ﷺ بصورة الفضل هذه وإنما تعداها إلى أخرى وهى فضيلة الإحسان إلى من أساء إليه ، فإذا به ﷺ يحسن فى قضاء ذاك الرجل الجافى بل يعلنها شرعة وفضيلة لمن يتقن التخلق بها من أمته .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : وفيه حسن خلق النبى ﷺ وعظم حلمه وتواضعه وإنصافه وأن من عليه دين لا ينبغى له مجافاة صاحب الحق وأن من أساء الأدب على الإمام كان عليه التعذير بما يقتضيه الحال إلا أن يعفو صاحب الحق ، وفيه جواز وفاء ما هو أفضل من المثل المقترض إذا لم تقع شرطية ذلك فى العقد فيحرم حينئذ اتفاقاً وبه قال الجمهور ، وعن المالكية تفصيل فى الزيادة إن كانت بالعدد منعت ، وإن كانت بالوصف جازت (٤).

إذا تحققت مظاهر الغلظة من ذلك المتقاضى من رسول الله ﷺ دينه ، فإن ما يقاربها من خصال السوء تبدو من آخر مقبلاً على مجلس رسول الله ﷺ لا ليتقاضى ديناً له عند رسول الله ﷺ ، وإنما جاء سائلاً – لا لطلب الفهم أو حرصاً على الهداية على يدى الهادى إلى الطريق المستقيم ﷺ – لمجرد السؤال ، أو بهدف إظهار نبى الإسلام ﷺ فى صورة من عدم العلم والمعرفة بما يعرفه أنبياء الله عز وجل ورسله .

---

(١) فتح البارى : ٦٩/٥ رقم ٢٣٩٠.

(٢) فتح البارى ٦٩/٥ رقم ٢٣٩٠.

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم ٤٣/٦ .

(٤) فتح البارى : ٧٠/٥ رقم ٢٣٩٠.

أخرج مسلم فى صحيحه بإسناده إلى ثوبان [١] مولى رسول الله ﷺ قال : كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود [٢] فقال : السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال : لم تدفعنى ؟ فقلت : ألا تقول يا رسول الله فقال اليهودى : إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله فقال رسول الله ﷺ : " إن اسمى محمد الذى سمانى به أهلى " ، فقال اليهودى : جئت أسألك فقال له رسول الله ﷺ : " أينفعك بشئ إن حدثتك ؟ " قال : أسمع بأذنى فنكثت رسول الله ﷺ بعود معه فقال : " سل ". فقال اليهودى : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال رسول الله ﷺ : هم فى الظلمة دون الجسر [٣] قال : فمن أول الناس إجازة ؟ قال : فقراء المهاجرين ، قال اليهودى : فما تحفتهم [٤] حين يدخلون الجنة ؟ قال " زيادة [٥] كبد النون " [٦] ، قال : فما غذاؤهم على إثرها ؟ قال : " ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها ، قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : " من عين فيها تسمى سلسبيلا " ، قال : صدقت ،قال : وجئت أسألك عن شئ لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبى أو رجل أو رجلان قال : " ينفعك إن حدثتك ؟ " قال : أسمع بأذنى ، قال : جئت أسألك عن الولد ؟ قال : " ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة أنكرا بإذن الله ، وإذا علا منى المرأة منى الرجل آنثا[٧] بإذن الله ، قال اليهودى : لقد صدقت وإنك لنبى ثم انصرف فذهب ، فقال رسول ﷺ " لقد سألنى هذا عن الذى سألنى عنه وما لى علم بشئ منه حتى أتانى الله به " [٨] .

---

(١) ثوبان مولى النبى ﷺ ، صحابى مشهور ، يقال إنه من العرب حكمى من حكم بن حمير ، وقيل : من السراة اشتراه ثم أعتقه رسول الله ﷺ فخدمه إلى أن مات ، ثم تحول إلى الرملة ثم حمص ، ومات بها سنة أربع وخمسين . الإصابة فى تمييز الصحابة ١ / ٢١٢ ترجمة ٩٦٣ .

(٢) لم يسمه أحد من أهل العلم بعد البحث فى ذلك ، فهو مبهم عند أهل العلم .

(٣) هو بفتح الجيم وكسرها ، لغتان مشهورتان ، والمراد به هنا : الصراط . شرح النووى على صحيح مسلم ٢ / ٢٣٢

(٤) التحفة: طرفة الفاكهة ، وقد تفتح التاء ، والجمع التحف ثم تستعمل فى غير الفاكهة من الألطاف . النهاية فى غريب الحديث ١/١٧٩ .

(٥) الزيادة والزائدة شئ واحد وهو طرف الكبد وهو أطيبها. شرح النووى على صحيح مسلم ٢/٢٣٢.

(٦) أى : الحوت . النهاية فى غريب الحديث ٥/١١٥ .

(٧) معنى الأول: كان الولد ذكراً، ومعنى الثانى: كان أنثى. شرح النووى على صحيح مسلم ٢/٢٣٢.

(٨) صحيح مسلم كتاب : الحيض – باب بيان صفة منى الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما ١/٢٥٢ – ٢٥٣ رقم ٣٤.

أرأيت الجفاء مع رسول الله ﷺ من هذا اليهودى ، إذ إصراره على عدم المتابعة لرسول الله ﷺ إن حدث صواباً لما جاء يسأل عنه – " قال : أسمع بأذنى " كما أن مراجعته لثوبان ﷺ عندما دفعه لذكره للنبى ﷺ باسمه دون وصفه بالرسالة – " فقال اليهودى : إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله " – ، يدلان بوضوح على فساد المعتقد عنه ، كما يشيران إلى عدم معرفته أو اعترافه بعلو قدر رسول الله ﷺ ، مما يشير إلى خبيثة الانتقاص .

لاحظ هذا ثوبان ﷺ من بداءة اليهودى (السلام عليك يا محمد) فإذا به يدفعه بشدة كاد يلقى حتفه نتيجة لقوة تلك الدفعة ، إظهاراً من ثوبان ﷺ لما يجب أن يقابل به رسول ﷺ من حسن البداءة ، من ذكره ﷺ لا بالاسم ، وإنما بالصفة التى تعطى معنى الكمال والإجلال له ﷺ وهى صفة الرسالة ، فعل ذلك مولى رسول الله ﷺ ؛ ليعطى لليهودى وغيره منهجاً أخلاقياً فى التعامل مع أهل الفضل ، دالاً لغيره عن طريقى الحال والمقال ، على حسن التأدب مع أهل المكارم ، وأن من لم يتخلق بذلك معهم فالتأديب له واجب ، والتقويم لسوء خلقه من أهم المطالب .

إن تلك الفضيلة التى نالها رسول الله ﷺ باصطفاء الله عز وجل له نبياً ورسولاً ، يأتى بعض أهل الضلالة منازعين فيها سائلين أن يكون لهم نصيب من فضلها كيف والله عز وجل هو الذى يصطفى[1] ويختار؟

أخرج مسلم فى صحيحه بإسناده إلى عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما– : أن عمر بن الخطاب ﷺ انطلق مع رسول الله ﷺ فى رهط قبل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان عند أطم بنى مغالة [2]، وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم، فلم يشعر حتى ضرب رسول الله ﷺ على ظهره بيده ثم قال رسول الله ﷺ لابن صياد : أتشهد أنى رسول الله ؟ فنظر إليه ابن صياد فقال : أشهد أنك رسول الأميين ، فقال ابن صياد لرسول الله ﷺ: أتشهد أنى رسول الله ؟ فرفضه [3] رسول الله ﷺ وقال : آمنت بالله

---

(١) يقول الله عز وجل { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } سورة الحج : الآية ٧٥ .

(٢) بنو مغالة : كل ما كان على يمينك إذا وقفت آخر البلاط مستقبل مسجد رسول الله ﷺ ، والأطم : بضم الهمزة والطاء هو : الحصن ، جمعه : آطام . شرح النووى على صحيح مسلم ٩ / ٢٨٤ .

(٣) نقل النووى : قال القاضى : روايتنا فيه عن الجماعة بالصاد المهملة قال بعضهم : الرفص بالصاد المهملة: الضرب بالرجل مثل الرفس ، قال : ووقع فى رواية القاضى التميمى (فرفضه) بضاد معجمة وهو وهم . شرح النووى على صحيح مسلم ٩ / ٢٨٤ .

وبرسله ثم قال له رسول الله ﷺ " ماذا ترى ؟ قال ابن صياد : يأتينى صادق وكاذب ، فقال له رسول الله ﷺ : " خلط عليك الأمر " ثم قال له رسول الله ﷺ : " إنى قد خبأت لك خبيئاً " فقال ابن صياد هو الدخ [١] فقال له رسول الله ﷺ : " اخسأ فلن تعدو قدرك " ، فقال عمر بن الخطاب ﷺ : دعنى يا رسول الله أضرب عنقه ، فقال له رسول الله ﷺ : إن يكنه فلن تسلط عليه ، وإن لم يكنه فلا خير لك فى قتله " [٢].

تلك الجرأة على قدر الرسالة من قبل ابن صياد قوبلت بالدفع لها من قبل رسول الله ﷺ أولاً ، كما قوبل صاحبها بحرص سيدنا عمر ﷺ على ضرب عنقه ، وكان هذا الموقف من سيدنا عمر ﷺ إعلاناً واضحاً بعلو قدر الرسالة ، وإعلاماً برفعة قدر الرسول ﷺ فيما يجب على مخاطبه من الأدب فى معاملته ، والتأدب بين يديه .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : وفى القصة اهتمام الإمام بالأمور التى يخشى منها الفساد والتنقيب عليها ، وإظهار كذب المدعى الباطل وامتحانه بما يكشف حاله والتجسس على أهل الريب ، وأن النبى ﷺ كان يجتهد فيما لم يوح إليه فيه [٣].

لم يكن ابن صياد وحيداً فى جرأته تلك ، وإنما شاركه غيره ، رغبة فى الأخذ بنصيب من الرسالة ، وقصداً إلى خلافة رسول الله ﷺ فيها .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : قدم مسيلمة الكذاب[٤] على عهد رسول الله ﷺ ، فجعل يقول إن جعل لى محمد الأمر من بعده تبعته ، وقدمها فى بشر كثير من قومه ، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت

---

(١) الدخ بضم الدال وفتحها : الدخان . النهاية فى غريب الحديث ٢/١٠٠-١٠١.

(٢) صحيح مسلم – كتاب : الفتن وأشراط الساعة – باب : ذكر ابن صياد ٤/٢٢٤٤ رقم ٩٥ ، صحيح البخارى – كتاب : الأدب – باب : قول الرجل للرجل اخسأ ٣ / ١٩٤٣ – ١٩٤٤ رقم ٦١٧٣ ، سنن الترمذى – كتاب : الفتن : باب : ما جاء فى ذكر ابن صائد ٤ / ٥١٩ رقم ٢٢٤٩ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) فتح البارى ٦/٢٠٢ رقم ٣٠٥٥ .

(٤) مسيلمة الكذاب : ولد ونشأ باليمامة فى القرية المسماة اليوم الجبيلة بقرب (العيينة) بوادى حنيفة فى نجد ، وتلقب فى الجاهلية بالرحمن وعرف برحمان اليمامة ، أكثر من وضع أسجاع يضاهى بها القرآن ، وتوفى النبى ﷺ قبل القضاء على فتنته ، فلما انتظم الأمر لأبى بكر رضى الله عنه انتدب له أعظم قواده (خالد بن الوليد) على رأس جيش قوى ، وانتهت المعركة بقتل مسيلمة سنة ١٢ هـ . الأعلام ٧ / ٢٢٦ .

بن قيس بن شماس [١] ، وفى يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه فقال : " لو سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها ، ولن تعدو أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، وإنى لأراك الذى أريت فيه ما أريت وهذا ثابت يجيبك عنى ثم انصرف عنه [٢].

نعم تعددت طرق المواجهة لأهل الزيغ والضلال ممن سفهت أحلامهم وساءت أخلاقهم ، فإذا بالنبى ﷺ يقف من أحدهم هذا الموقف الخير دفعاً عن علو قدر الرسالة، وإخباراً بالحال السيئ الذى عليه من أراد المنازعة فيها ، ثم تأتى المواجهة الأخرى بإذن منه ﷺ لأحد أصحابه الكرام ، حتى يطنب فى الرد ، ويطيل فى الجواب إن رغب خصمه فى ذلك .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : قوله " وهذا ثابت بن قيس يجيبك عنى " أى : لأنه كان خطيب الأنصار ، وكان النبى ﷺ قد أعطى جوامع الكلم فاكتفى بما قاله لمسيلمة وأعلمه أنه إن كان يريد الإسهاب فى الخطاب فهذا الخطيب يقوم عنى فى ذلك، ويؤخذ منه استعانة الإمام بأهل البلاغة فى جواب أهل العناد ونحو ذلك [٣].

وقال الإمام النووى رحمه الله تعالى : قال العلماء : كان ثابت بن قيس خطيب رسول الله ﷺ يجاوب الوفود عن خطبهم وتشدقهم [٤].

وشاهدنا عده – رضى الله عنه – فى صفوف المدافعين ، إذ التأهب للدفاع فى ذاته ، هو دفاع بعينه ؛ لحسن الثبات فى ذلك .

لأصحاب رسول ﷺ فى كل ميدان صولة وتأتى هنا بلاغتهم وسلامة منطقتهم تأييداً لرسول الله ﷺ ، ودفعاً لألفاظ السوء التى ينطق بها أعداؤه ، فإذا بالباطل على أيديهم يقع فى العثرات ، وبالحق ترفع له الرايات .

---

(١) ثابت بن قيس بن شماس الخزرجى الأنصارى ، خطيب الأنصار ، أول مشاهده أحد ، وشهد ما بعدها. الإصابة ١ / ٢٠٣ ترجمة ٩٠٠ .

(٢) صحيح البخارى – كتاب : المغازى – باب وفد بنى حنيفة وحديث ثمامة بن أثال ٣/١٣٢١ رقم ٤٣٧٣ ، صحيح مسلم – كتاب : الرؤيا – باب رؤيا النبى ﷺ ٤/١٧٠٨ رقم ٢١ .

(٣) فتح البارى ٧/٦٩١ – ٦٩٢ رقم ٤٣٧٣ .

(٤) شرح النووى على صحيح مسلم ٨/٣٩ .

ثانياً : دفعهم عنه ﷺ سيئ الأقوال فى غير حضوره :

إن رسول الله ﷺ وعلو قدره عند أصحابه الكرام دين يتخلقون به ويدينون له، بحيث يقدمون فى سبيل ذلك النفس والنفيس ، ويختارون البراء من أهل السفه مع رسول الله ﷺ على الولاء لهم ، مهما كلفهم ذلك من مشقة، أو قادهم إلى طرق الشقاق.

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى أبى سعيد الخدرى ﷺ قال : بينما رسول الله ﷺ جالس جاء يهودى[١] فقال : يا أبا القاسم ، ضرب وجهى رجل من أصحابك فقال: "من"، قال رجل من الأنصار [٢] قال: "ادعوه" ، فقال: " أضربته " ، قال : سمعته بالسوق يحلف والذى اصطفى موسى على البشر قلت: أى خبيث ، على محمد ﷺ ؟ فأخذتنى غضبة ضربت وجهه فقال النبى ﷺ " لا تخيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ،فلا أدرى أكان فيمن صعق [٣] ، أم حوسب بصعقة الأولى " [٤].

تقرر عند أصحاب رسول الله ﷺ أن نبى الإسلام محمد بن عبد الله ﷺ أفضل المخلوقات عرفوا هذا وسلموا به قلباً وقالباً ، بحيث إذا ما عُكِّر على ما تقرر عندهم فى هذا الأمر الإيمانى ، إذا بهم يجهرون بالحق ويعلنون على الملأ الحقائق ، ولذا لما ذكر اليهودى غير النبى ﷺ فى مقدمة المصطفين من قبل الخالق عز وجل ، إذا بالصحابى الجليل يلطم وجه المقدم على رسول الله ﷺ غيره ، وإن كان نبى الله موسى عليه السلام ، فى غير ما إنقاص لقدر سيدنا موسى عليه السلام ، وإنما إعلاماً وإعلاناً بتقديم رسول الله ﷺ على غيره .

---

(١) لم أقف على اسمه عند أحد من أهل العلم بعد البحث عنه .

(٢) هذا يعكر على قول عمرو بن دينار أنه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، إلا إن كان المراد بالأنصار المعنى الأعم فإن أبا بكر الصديق رضى الله عنه من أنصار رسول الله ﷺ قطعاً ، بل هو رأس من نصره ومقدمهم وسابقهم . فتح البارى ٦ / ٥١١ رقم ٣٤٠٨ .

(٣) الصعق أن يغشى على الإنسان من صوت شديد يسمعه ، وربما مات منه ، ثم استعمل فى الموت كثيراً . النهاية فى غريب الحديث ٣/٣٠ .

(٤) صحيح البخارى – كتاب : الخصومات – باب ما يذكر فى الإشخاص والملازمة والخصومة بين المسلم واليهودى ٢/٧٢٠ رقم ٢٤١٢ ، صحيح مسلم – كتاب : الفضائل – باب من فضائل موسى ﷺ ٤/١٨٤٥ رقم ١٦٢ ، سنن الترمذى – كتاب : تفسير القرآن – باب : من سورة الزمر ٥ / ٣٧٣ – ٣٧٤ رقم ٣٢٤٥ وقال : هذا حديث حسن صحيح ، سنن ابن ماجه – كتاب : الزهد – باب : ذكر البعث ٢ / ١٤٢٨ – ١٤٢٩ رقم ٤٢٧٤ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : قوله " فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم اليهودى"[١] ، أى عند سماعه قول اليهودى " والذى اصطفى موسى على (العالمين)[٢] وإنما صنع ذلك فهمه عموم لفظ العالمين فدخل فيه محمد ﷺ ، وقد تقرر عند المسلم أن محمداً ﷺ أفضل ، وقد جاء ذلك مبيناً فى حديث أبى سعيد أن الضارب قال لليهودى حين قال ذلك :" أى خبيث ، على محمد ﷺ " فدل على أنه لطم اليهودى عقوبة على كذبه عنده [٣].

وقف صاحب رسول الله ﷺ هذا الموقف الإيمانى محبة لرسول الله ﷺ وإعلاءً لفضله ﷺ، لكن رسول الله ﷺ أراد تعليماً حكيماً يؤدب به أمته المباركة ، كان هذا الحدث دافعاً له ، فإذا به ﷺ ينهى عن التفضيل بين أنبياء الله عز وجل ورسله ، وإياك أن تفهم هذا على الإطلاق ، إذ التفضيل مقرر فى كتاب الله عز وجل{ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ}[٤] وإنما خرجه أهل العلم إلى ما يقبل من التوجيهات التربوية التى قصد إليها رسول الله ﷺ فى تواضع هو مصدره ﷺ فى صور الكمال .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : قال العلماء فى نهيه ﷺ عن التفضيل بين الأنبياء : إنما نهى عن ذلك من يقوله برأيه لا من يقوله بدليل ، أو من يقوله بحيث يؤدى إلى تنقيص المفضول ، أو يؤدى إلى الخصومة والتنازع أو المراد لا تفضلوا بجميع أنواع الفضائل بحيث لا يترك للمفضول فضيلة ، وقيل النهى عن التفضيل إنما هو فى حق النبوة نفسها كقوله تعالى { لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ } [٥] ولم ينه عن تفضيل بعض الذوات على بعض لقوله : { تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ } ، وقال الحليمى : الأخبار الواردة فى النهى عن التخيير ، إنما هى فى مجادلة أهل الكتاب وتفضيل بعض الأنبياء على بعض بالمخايرة ؛ لأن المخايرة إذا وقعت بين أهل دينين لا يؤمن أن يخرج أحدهما إلى الازدراء بالآخر فيفضى إلى الكفر ، فأما إذا كان التخيير مستنداً إلى مقابلة الفضائل لتحصيل الرجحان فلا يدخل فى النهى [٦].

---

(١) صحيح مسلم – كتاب : الفضائل – باب من فضائل موسى ﷺ ١٨٤٤/٤ رقم ١٦٠ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) المرجع السابق .

(٣) فتح البارى ٥١١/٦ رقم ٣٤٠٨ .

(٤) سورة البقرة : الآية رقم ٢٥٣ .

(٥) سورة البقرة : الآية رقم ٢٨٥ .

(٦) فتح البارى ٥١٤/٦ رقم ٣٤٠٨ .

إعظام قدر رسول الله ﷺ متحقق عند أصحابه الكرام ﷺ ، يجوبون لأجله المصاعب ، ويركبون حرصاً على رفعته الصعاب.

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى خباب [١] ﷺ قال : كنت قيناً [٢] فى الجاهلية ، وكان لى على العاص بن وائل دراهم ، فأتيته أتقاضاه ، فقال : لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ﷺ فقلت : لا والله لا أكفر بمحمد ﷺ حتى يميتك الله ثم يبعثك، قال: فدعنى حتى أموت ثم أبعث فأوتى مالاً وولداً ثم أقضيك ، فنزلت : { أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً }[٣] الآية [٤].

رضى خباب بن الأرت ﷺ برسول الله ﷺ نبياً ورسولاً ، واطمئن قلبه بما جاء به فى العقائد والأخلاق ، فإذا بالإيمان يملأ عليه ظاهره وباطنه ، فإذا بالمنهج الحكيم يحسن متابعته فى القول والعمل ، ولذا فإن أى اعتداء من عدو على ما تقرر عنده ﷺ فى هذا الأمر ، لابد وأن يقابل بالرفض والمخالفة ، كان هذا موقفه ﷺ من العاص بن وائل الذى ساومه بمتاع الدنيا شريطة أن ينشق عن الدين " لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ﷺ " لفظة وقعها شديد على صاحب رسول الله ﷺ ، كيف يخالف من هدى به إلى الطريق المستقيم ؟ أم كيف يرتد عن عقيدة التوحيد التى أخرجتهم عن ترهات الآلهة المتعددة ؟ لا ، رفض من خباب ﷺ رغم المساومة ، بل الإعلان أنه متابع لرسول الله ﷺ لا فى عقيدة الوحدانية وحسب ، وإنما فى منهجها الذى أخذوه عن رسول الله ﷺ من عقيدة البعث بعد الموت ، جهر بذلك صراحة وليذهب المال سدى ، ويكفيه أن يبقى عليه دينه و إعظامه لقدر من دلهم على هذا الدين الحنيف .

---

(١) هو: خباب بن الأرت – بتشديد المثناة ابن جندلة التميمى ، ويقال : الخزاعى أبو عبد الله ، سبى فى الجاهلية فبيع بمكة ، فكان مولى أم أنمار الخزاعية ، وقيل غير ذلك . ثم حالف بنى زهرة ، وكان من السابقين الأولين ، وشهد المشاهد كلها مع النبى ﷺ ، نزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين ، زاد ابن حبان : منصرف على ﷺ من صفين وصلى عليه على رضى الله عنه ، ويقال : أول من دفن بظهر الكوفة . الإصابة ٢ / ١٠١ ترجمة ٢٢٠٦ .

(٢) القين : هو الحداد والصانع . النهاية فى غريب الحديث ١١٩/٤ .

(٣) سورة مريم : الآية رقم ٧٧ .

(٤) صحيح البخارى – كتاب : الخصومات – باب : التقاضى ٧٢٣/٢ رقم ٢٤٢٥ ، صحيح مسلم – كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم – باب سؤال اليهود النبى ﷺ عن الروح ٢١٥٣/٤ رقم ٣٥، مسند الإمام أحمد٥ / ١١٠ رقم ٢١١٠٥ .

إن رفعة رسول الله ﷺ وعزته لها قدرها عند الصحب الكرام ﷺ يحرصون على الدفع عن ذلك ، ويجهدون فى إذلال من تعرض لما هنالك .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى جابر - رضى الله عنهما - يقول : غزونا مع النبى ﷺ وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا ، وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع[1] أنصارياً فغضب الأنصارى غضباً شديداً حتى تداعوا ، وقال الأنصارى : يا للأنصار ، وقال المهاجرى : يا للمهاجرين فخرج النبى ﷺ فقال:" ما بال دعوى أهل الجاهلية ؟ ثم قال : ما شأنهم ؟ فأخبر بكسعة المهاجرى الأنصارىَ، قال : فقال النبى ﷺ : " دعوها فإنها خبيثة " وقال عبد الله بن أبى بن سلول ، أقد تداعوا علينا ، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فقال عمر : ألا نقتل يا رسول الله ﷺ هذا الخبيث ؟ لعبد الله ، فقال النبى ﷺ : لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه [2]" [3] .

موقف من الخلاف لا استحالة لوقوعه بين أصحاب رسول الله ﷺ لبشريتهم ، فإذا بالمشرع ﷺ يحرص على التقويم ، ويخبر بأن القوام لا يتحقق إلا بترك دعوى الجاهلية ، لخبث مرماها وسوء عقباها ، فإذا بالأصحاب ﷺ يعلنون المتابعة لرسول الله ﷺ فى تأديبه وتهذيبه ، لكن الحدث لن يمر هكذا دون أن يستغل من قبل أهل النفاق - وعلى رأسهم ابن سلول - والشقاق ، فترى رأس النفاق يريد إشعال الفتنة فى أصحاب رسول الله ﷺ فيفرق الجميع ، ويشتت الاجتماع " لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل "، لكن أصحاب رسول الله ﷺ لمثل تلك الدعاوى بالمرصاد، فهاهو عمر بن الخطاب ﷺ يسارع فى الرغبة فى قتل من أراد أن يفرق على المسلمين وحدتهم ، والذى تجرأ فى اللمز لرسول الله ﷺ بما يخالف العزة والرفعة ، كيف وعزة رسول الله ﷺ ثابتة لا ينكرها إلا ذليل أو معاد ؟

بل الإعجاب والعجب من موقف ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول بعد أن أعلم بقول أبيه فى حق النبى ﷺ .

---

(١) أى : ضرب دبره بيده . النهاية فى غريب الحديث ١٥٠/٤ .

(٢) أى : أتباعه . فتح البارى ٥١٨/٨ رقم ٤٩٠٥ .

(٣) صحيح البخارى - كتاب : المناقب - باب : ما ينهى من دعوى الجاهلية ١٠٩٣/٣ رقم ٣١٥٨ ، صحيح مسلم - كتاب : البر والصلة والآداب - باب : نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً ٤ / ١٩٩٨ - ١٩٩٩ رقم ٦٣ .

أخرج الترمذى فى سننه بإسناده إلى سفيان عن عمرو بن دينار ، سمع جابر بن عبد الله – رضى الله عنهما – ، كنا فى غزاة ، قال سفيان : يرون أنها غزوة بنى المصطلق ...وفيه ..." فقال رسول الله ﷺ دعوها إنها منتنة " فسمع ذلك عبد الله بن أبى ابن سلول فقال : أوقد فعلوها ؟ والله (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) فقال عمر : يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبى ﷺ : دعه لا يتحدث الناس أن محمداً ﷺ يقتل أصحابه ، وقال غير عمرو ، فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله : والله لا تنفلت حتى تقر أنك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز ، ففعل [1] .

هكذا يكون الدفع عن رسول الله ﷺ، فهو ﷺ أحب إليهم من أنفسهم وأهليهم ، ومن قصده بسوء من القدح فى حقه ﷺ فلابد على يدى أقرب الناس إليه – ابنه – أن يقر على نفسه بعين القدح الذى أراد لمز النبى ﷺ به – المذلة – ، وأن يجهر فى حق النبى ﷺ بما نفاه عنه من العزة

من رضى بالله عز وجل رباً ، وبمحمد بن عبد الله ﷺ نبياً ورسولاً وبالإسلام عقيدة ومنهاجاً أثبت الله عز وجل عزتهم ورفعتهم فى قوله سبحانه { وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ } [2] ومن رفع بقول الله عز وجل ، فهيهات أن يقدح فى حقه داعياً ومدعوين بمفارقة الحق إلى الباطل ، أو الرضا بالرذيلة وترك الفضائل .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى عبد الله بن مسعود ﷺ : حدث عن سعد بن معاذ أنه قال : كان صديقاً لأمية بن خلف ، وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد ، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية فلما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة انطلق سعد معتمراً فنزل على أمية بمكة ، فقال لأمية : انظر لى ساعة خلوة لعلّى أن أطوف بالبيت ، فخرج به قريباً من نصف النهار فلقيهما أبو جهل فقال : يا أبا صفوان من هذا معك ؟ فقال : هذا سعد ، فقال له أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمناً وقد أويتم الصباة [3] وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبى صفوان ما

---

(١) سنن الترمذى– كتاب: تفسير القرآن– باب: ومن سورة المنافقين ٥ / ٤١٧ – ٤١٨ رقم ٣٣١٥، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) سورة المنافقون : الآية ٨ .

(٣) يقال صبأ فلان إذا خرج من دين إلى دين غيره ، من قولهم صبأ ناب البعير إذا طلع ، وكانت العرب تسمى النبى ﷺ الصابئ ؛ لأنه خرج من دين قريش إلى دين الإسلام ، ويسمون المسلمين الصباة .النهاية فى غريب الحديث ٣/٣

رجعت إلى أهلك سالماً ، فقال : له سعد ورفع صوته عليه : أما والله لئن منعتنى هذا لأمنعك ما هو أشد عليك منه ، طريقك على المدينة ، فقال له أمية : لا ترفع صوتك يا سعد على أبى الحكم ، سيد أهل الوادى ، فقال سعد : دعنا عنك يا أمية ، فو الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إنهم قاتلوك " ، قال : بمكة ، قال : لا أدرى ، ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً ، فلما رجع أمية إلى أهله قال : يا أم صفوان ألم ترى ما قال لى سعد ؟ قالت : وما قال لك . قال : زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلىَّ ، فقلت له : بمكة ؟ قال : لا أدرى ، فقال أمية : والله لا أخرج من مكة ، فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس قال : أدركوا عيركم ؟ فكره أمية أن يخرج ، فأتاه أبو جهل فقال : يا أبا صفوان إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت ، وأنت سيد أهل الوادى تخلفوا معك ، فلم يزل به أبو جهل حتى قال : أما إذ غلبتنى فوالله لأشترين أجود بعير بمكة ، ثم قال أمية : يا أم صفوان جهزينى فقالت له : يا أبا صفوان ، وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربى ؟ قال : لا، ما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً ، فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلاً إلا عقل بعيره فلم يزل بذلك حتى قتله الله عز وجل ببدر (١).

لم يرض سعد بن معاذ ﷺ أن يقدح فى حق رسول الله ﷺ بأنه وأصحابه خالفوا صواب العقيدة إلى باطل المعتقد ، كيف والحق واضح والحقيقة جلية ، إن الحق عنده ﷺ فى متابعة المنهج الذى جاء به رسول الله ﷺ ، والصابئ من خالف شرعَة الله وشرعة رسوله ﷺ ، بهذا جهر سعد ﷺ ، ورفع صوته على عدو الإسلام اللدود أبى جهل ، فعل هذا رغم صعوبة موقفه ، وانفراد وقوفه ، لم يخف أذى ولم يرهب لتهديد " أما والله لولا أنك مع أبى صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً " ، إذ كيف يرضى لنفسه سلامة الجسد ، فى مقابل السكوت على لفظة السوء فى حق رسول الله ﷺ وأصحابه من أهل الحقد والجهل والحسد ؟

ثم إنه لا يزال ﷺ يعلى من قدر رسول الله ﷺ فى أنه ﷺ إذا ما أخبر بأمر من المغيبات ، فلابد لخبره من التصديق ، ولا مناص لما أنبأ به من التحقيق ، بهذا آمن وعليه تابع ، وبه يجهر فى حق أمية بن خلف ، والذى تدل ألفاظه وأفعاله على تصديقه لما أخبر به رسول الله ﷺ من قتلهم له ، لكنه العناد والرضا بالضلال اللذين أبيا على أمية المتابعة لهذا الدين .

---

(١) صحيح البخارى – كتاب : المغازى – باب : ذكر النبى ﷺ من يقتل ببدر ٣/١٢٠٧ – ١٢٠٨ رقم ٣٩٥٠ .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : وفى الحديث معجزات للنبى ﷺ ظاهرة وما كان عليه سعد بن معاذ ﷺ من قوة النفس واليقين [١].

إن الجرأة على قدر رسول الله ﷺ بما يقتضى الانتقاص بألفاظ من القدح أو اللمز أو الوقيعة ، مقابلها من جهة الأصحاب ﷺ بالرد والإنكار ، وإلا فالقبر للمنتقص على عجل له قرار .

أخرج أبو داود فى سننه بإسناده إلى ابن عباس - رضى الله عنهما - أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبى ﷺ وتقع فيه فينهاها فلا تنتهى ويزجرها فلا تنزجر ، قال : فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع فى النبى ﷺ وتشتمه ، فأخذ المغول[٢] فوضعه فى بطنها واتكأ عليها فقتلها ، فوقع بين رجليها طفل فلطخت ما هناك بالدم ، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فجمع الناس فقال : أنشد الله رجلاً فعل ما فعل لى عليه حق إلا قام ، فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل حتى قعد بين يدى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله أنا صاحبها ، كانت تشتمك وتقع فيك فأنهاها فلا تنتهى ، وأزجرها فلا تنزجر ، ولى منها ابنان مثل اللؤلؤتين ، وكانت بى رفيقة ، فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك فأخذت المغول فوضعته فى بطنها ، واتكأت عليها حتى قتلتها ، فقال النبى ﷺ : ألا اشهدوا أن دمها هدر [٣] » [٤].

تأمل حال هذا الصحابى الجليل وموقفه من قول النبى ﷺ : " أنشد الله رجلاً فعل ما فعل لى عليه حق إلا قام " ، فإذا به يسارع فى القيام ليعطى ويظهر حقيقة أمره فى حسن المتابعة لرسول الله ﷺ ، ورد كيد أعدائه وسوء أخلاقهم عنه ﷺ ، إنه حق رسول الله ﷺ على هذا الصحابى الدفع عن رسول الله ﷺ ، والحرص على القضاء على من رُدِع عن سوء الأدب معه ﷺ فلم يرتدع ، ولعل فضيلة هذا الصحابى تبدو

---

(١) فتح البارى ٣٣٢/٧ رقم ٣٩٥٠.

(٢) المغول : بالكسر شبه سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه فيغطيه ، وقيل : هو حديدة دقيقة لها حد ماضٍ وقفاً ، وقيل : هو سوط فى جوفه سيف دقيق يشده الفاتك على وسطه . النهاية فى غريب الحديث ٣/ ٣٥٦ .

(٣) هدر: يقال ذهب دمه هَدَراً وهَدْراً إذا لم يؤخذ بثأره . النهاية فى غريب الحديث ٢١٧/٥ .

(٤) سنن أبى داود - كتاب : الحدود - باب الحكم فيمن سب النبى ﷺ ١٢٧/٤رقم ٤٣٦١، إسناده حسن؛ لأنه فيه عثمان الشحام العدوى، قال ابن حجر: لا بأس به. تقريب التهذيب ١٥/٢ رقم١٢٧.

جلية إذا عرف أن من قتلها لم تكن بينه وبينها عداوة شخصية أو خلاف كطرفى نزاع، بل له منها ولد وهى به رفيقة ، كما أعلن بألفاظه ، لكن هيهات أن تكون فى البر بمكان منه ، وتقدح فى شخص رسول الله ﷺ بلمزه وشتمه ، وإلا فلا حاجة إلى مواطن النفع منها ؛ لأن الانتفاع الحقيقى ، والنفع المحقق كدين لابد من التمسك به ، إنه هو الدفع عن رسول ﷺ والذب عن حياض رفعته .

لا يقبل هنا أن يقال أن انفعال الصحابى بذلك لضعف المرأة ، وهوان منعتها عن نفسها ، فإن الحدث أكثر من ذلك عند أصحاب رسول الله ﷺ ، إذ لو كان أحدهم فى جيش ونيل من رسول الله ﷺ من خلالهم – أفراداً وجماعات – لوجدت أحدهم تهون عليه نفسه ، فى سبيل الدفاع عن رسول الله ﷺ ، وما موقف سعد بن معاذ ﷺ من أبى جهل ببعيد ، وإليك النقل لما يطمئن به القلب والعقل .

أخرج مسلم فى صحيحه بإسناده إلى إياس بن سلمة حدثنى أبى[١] قال : قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ ... وفيه .. قال :.فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة ، واختلط بعضنا ببعض ، أتيت شجرة فكسحت [٢] شوكها ، فاضطجعت فى أصلها ، قال : فأتانى أربعة من المشركين من أهل مكة ، فجعلوا يقعون فى رسول الله ﷺ فأبغضتهم ، فتحولت إلى شجرة أخرى ، وعلقوا سلاحهم ، واضطجعوا فبينا هم كذلك إذ نادى منادٍ من أسفل الوادى : يا للمهاجرين قتل ابن زنيم، قال : فاخترطت [٣] سيفى ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقود ، فأخذت سلاحهم فجعلته ضغثا [٤]فى يدى ، قال : ثم قلت : والذى كرم وجه محمد ﷺ لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذى فيه عيناه ، قال : ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ ، قال : وجاء عمى عامر برجل من

---

(١) هو: سلمة بن عمر بن الأكوع ، واسم الأكوع : سنان بن عبد الله ، أول مشاهده الحديبية ، وكان من الشجعان ، ويسبق الفرس عدواً ، وبايع النبى ﷺ عند الشجرة على الموت ، مات بالمدينة سنة أربع وسبعين على الصحيح ، وقيل : مات سنة أربع وستين . الإصابة ٣ / ١١٨ ترجمة ٣٣٨٢.

(٢) كسح الرجل كسحاً إذا تقلت إحدى رجليه فى المشى ، فإذا مشى كأنه يكسح الأرض أى يكنسها . النهاية فى غريب الحديث ١٤٩/٤ .

(٣) اخترط سيفه أى سله من غمده ، وهو افتعل من الخرط . النهاية فى غريب الحديث ٢٣/٢ .

(٤) الضغث : ملء اليد من الحشيش المختلط ، وقيل الحزمة منه وما أشبهه من البقول . النهاية فى غريب الحديث ٨٢/٣-٨٣ .

العبلات [١] يقال له مكرز [٢] ، يقوده إلى رسول الله ﷺ على فرس مجفف [٣] ، فى سبعين من المشركين ، فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال : " دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه [٤] " فعفا عنهم رسول الله ﷺ [٥].

أرأيت صحابى يسمع جماعة يقعون فى رسول الله فيقع بغضهم فى قلبه ، حتى إذا دعاه الواقع بمعاجلتهم بالسلاح إذا به لا يتوانى فى ذلك ، بل يأتى بهم فى صورة من المهانة تقابل نيلهم من رسول الله ﷺ ، ولم يزل الهوان مشهدهم حتى عفا عنهم العفو الرحيم ﷺ .

إنها مشاهد الفضل ، ومناظر الفضيلة التى يعطيها أصحاب رسول الله ﷺ كقدوة حسنة للأمة الإسلامية ، فلابد أن يعترف لهم بقدم السبق فى ذلك .

يقول الإمام النووى رحمه الله تعالى : واعلم أن فى هذا الحديث أنواعاً من العلم سوى ما سبق التنبيه عليه : منها مناقب سلمة بن الأكوع ﷺ [٦] .

إن أوقات الأمان والمسالمة والعهود قد يستغلها بعض أعداء الإسلام فى إظهار العداء لنبى الإسلام ﷺ بلمزه والقدح فى حقه ، لكن هذا لن يكون مانعاً لأصحاب رسول الله ﷺ فى إسكات هؤلاء ، وردع أولئك .

أخرج البخارى فى التاريخ الكبير بإسناده إلى كعب بن علقمة ، أن غرفة بن الحارث الكندى [٧] مر به نصرانى فدعاه إلى الإسلام فتناول النبى ﷺ وذكره ، فرفع

---

(١) العبلات : بطن من بنى لُمية الصغرى من قريش من العدنانية ، نسبوا إلى أمهم عبلة إحدى نساء بنى تميم وهم بنو لُمية الأصغر وبنو عبد لُمية، وبنو نوفل أولاد عبد شمس. معجم قبائل العرب ٧٤١/٢.

(٢) هو بميم مكسورة ثم كاف ثم راء ثم زاى . شرح النووى على صحيح مسلم ٦ / ٤٢١ ، هكذا مهملا ولم يميزه النووى رحمه الله تعالى ، ولم أقف على من ميزه .

(٣) أى : عليه تجفاف ، وهو شئ من سلاح يترك على الفرس يقيه الأذى ، وقد يلبسه الإنسان أيضاً، وجمعه تجافيف . النهاية فى غريب الحديث ٢٧٠/١ .

(٤) أى : أوله وآخره . ، النهاية فى غريب الحديث ٢١٩/١.

(٥) صحيح مسلم – كتاب : الجهاد والسير – باب غزوة ذى قرد وغيرها ١٤٣٣/٣ -١٤٣٥ رقم ١٣٢ ، مسند الإمام أحمد ٤ / ٤٨ – ٤٩ رقم ١٦٥٦٦ .

(٦) شرح النووى على صحيح مسلم ٦ / ٤٢٥ .

(٧)غرفة بن الحارث أبو الحارث اليمانى نزيل مصر ، شهد حجة الوداع وروى عن النبى ﷺ فى نحر البدن ، شهد فتح مصر وكان من أشراف أهلها ، وكان يكاتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقاتل مع عكرمة بن أبى جهل الردة / الإصابة ١٨٥/٣ ترجمة ٦٩٠٧.

غرفة يده فوق أنفه ، فرع إلى عمرو بن العاص ﷺ ، فقال : أعطيناهم العهد ، قال غرفة : معاذ الله أن نكون أعطيناهم على أن يظهروا شتم نبينا ، وإنما أعطيناهم على أن يخلى بينهم وبين كنائسهم ، يقولون فيها ما بدا لهم ، وأن لا نحملهم ما لا يطيقون ، وإن أرادوا عدواً قاتلنا من ورائهم ، ونخلى بينهم وبين أحكامهم ، إلا أن يأتونا راضين بأحكامنا ، فنحكم بينهم بحكم الله وحكم رسوله ﷺ . وإن غيبوها لم نعرض لهم فيها ، قال عمرو : صدقت [1].

أرأيت حسن الفهم وجميل المتابعة لمنهج الإسلام القويم ، إذ العهود والمواثيق بالأمان لغير المسلم ، لا تعطى له الحق فى لمز النبى ﷺ أو الانتقاص من قدره ، وإلا فلا عهد له ولا ميثاق ، والذب عن رسول الله ﷺ هو ما ترفع به الأعناق .

وإذا أردت أن تعرف قدر رسول الله ﷺ عند أصحابه الكرام – كهولاً وشباناً ، رجالاً ونساءً – وحرصهم فى الدفع عنه ما ساء من أقوال ، وما خبث من ألفاظ فأقرأ الحدث باللسان ، واستمع لجميل وقعه بالآذان ، لتعلم أن فى الإسلام قوة رادعة ، وأن له أياد طائعة ترفع بيد له اللواء ، وتقطع بالأخرى رقاب الأعداء .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده قال: بينا أنا واقف فى الصف يوم بدر ، فنظرت عن يمنى وشمالى ، فإذا أنا بغلامين من الأنصار ، حديثة أسنانهما ،تمنيت أن أكون بين أضلع منهما[2] ، فغمزنى أحدهما فقال : يا عم هل تعرف أبا جهل ؟ قلت : نعم ما حاجتك إليه يا ابن أخى ؟ قال : أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ ، والذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منا ، فتعجبت لذلك ، فغمزنى الآخر فقال لى مثلها ، فلم أنشب أن نظرت إلى أبى جهل يجول فى الناس فقلت : ألا إن هذا صاحبكما الذى سألتمانى ، فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى رسولِ الله ﷺ فأخبراه فقال : أيكما قتله ؟ قال : كل واحد منهما أنا قتلته ، فقال : " هل

---

(١) التاريخ الكبير ١٠٩/٧-١١٠ رقم ٤١٩ ، قال الحافظ ابن حجر : إسناده صحيح ، الإصابة ١٨٥/٣ ترجمة ٦٩٠٧.

(٢) أكون بين أضلع : أى بين رجلين أقوى من الرجلين اللذين كنت بينهما وأشد . النهاية فى غريب الحديث ٨٩/٣ .

مسحتما سيفيكما ؟ قالاً : لا ، فنظر فى السيفين فقال : " كلاكما قتله ، سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح [١] " وكانا معاذ بن عفراء [٢]، ومعاذ بن عمرو بن الجموح [٣] .

إنه التصديق برسول الله ﷺ فى صورته الراقية ، بحيث ملأ على صحبه الكرام قلوبهم باليقين ، وأعطى جوارحهم عزمة فى نصرة دينه لا تلين ، هذا ما يظهره هذا الحدث الإيمانى ، والحديث المربى للأمة جيلاً بعد جيل ، وصغيراً عقب كبير .

إن هذا النشئ من الصحب الكرام ﷺ لم يسمع أبا جهل يسب رسول الله ﷺ بأذنه ، ولم يشهد موقفه من رسول الله ﷺ فى صورة من القدح والبذاءة، بل أخبرا بذلك فقط " أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ " والأخبار قد تطابق الواقع وقد تخالفه ، لكن شهرة أبا جهل بالعداء لرسول الله ﷺ ، وصدق المخبرين بسوء أدبه مع رسول الله ﷺ ، تجعل الخبر فى صورة المقطوع بوقوعه ، وما دام الأمر كذلك فلابد من النيل ممن سب رسول الله ﷺ، بل والقضاء عليه .

لعل القارئ الكريم يتعجب – بل ويعجب – كحال عبد الرحمن بن عوف –رضى الله عنه – الناقل للحدث ، من هذا الحرص الشديد على قتل عدو رسول الله ﷺ أبا جهل " والذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منا " ، ألفاظ إيمانية تكتب بماء الذهب لشابين من الصحب الكرام يحسنان الفعل مع من ساء فى حق رسول الله ﷺ منه الأدب .

---

(١) معاذ بن عمرو بن الجموح الأنصارى الخزرجى السلمى ، قال البخارى : له صحبة ، وشهد معاذ العقبة وبدراً ، وهو أحد من قتل أبا جهل ، مات فى زمن عثمان رضى الله عنه . الإصابة ٦ / ١٠٩ ترجمة ٨٠٤٦ .

(٢) معاذ بن الحارث بن رفاعة الأنصارى الخزرجى المعروف بابن عفراء ، وعفراء أمه عرف بها ، شهد العقبة الأولى ، وشهد بدراً ، وشارك فى قتل أبى جهل ، وعاش بعد ذلك ، وقيل : بل جرح ببدر ومات من جراحته .
الإصابة ٦ / ١٠٧ ترجمة ٨٠٣٤ .

(٣) صحيح البخارى – كتاب : فرض الخمس – باب : من لم يخمس الأسلاب ، ومن قتل قتيلاً فله سلبه من غير أن يخمس وحكم الإمام فيه ٩٦٧/٢ رقم ٣١٤١ ، صحيح مسلم – كتاب : الجهاد والسير – باب : استحقاق القاتل سلب القتيل ١٣٧٢/٣ رقم ٤٢ ، مسند الإمام أحمد ١ / ١٩٢ – ١٩٣ رقم ١٦٧٣ .

ما إن يدلا عليه حتى يبتدرانه بسيفيهما فى غير رهبة من قوته ، أو خشية من دقة قناته ، إذا الأمرين عندهما محل الطلب ، فإما قتل عدو رسول الله ﷺ ، وإما الشهادة دفاعاً عمن تهون لأجله الأنفس ، لكن التوفيق يكون حليفاً لمن صدق الله عز وجل فى السير على مستقيم الطريق ، فإذا بهما يضرباه حتى يقتلاه ، ثم ينصرفا إلى رسول الله ﷺ مبشرين بقتله ، كل واحد منهما يدعى المنقبة ، فإذا بحسن البشارة منه ﷺ لهما بأن كلاهما قتله ، لكنه ﷺ قضى بالسلب لأحدهما .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : قوله " كلاكما قتله ، سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح " فقد احتج به من قال : إن إعطاء القاتل السلب مفوض إلى رأى الإمام ، وقرره الطحاوى وغيره بأنه لو كان يجب للقاتل لكان السلب مستحقاً بالقتل ، ولكان جعله بينهما لاشتراكهما فى قتله ، فلما خص به أحدهما دل على أنه لا يستحق بالقتل ، وإنما يستحق بتعيين الإمام ، وأجاب الجمهور بأن فى السياق دلالة على أن السلب يستحقه من أثخن فى القتل ، ولو شاركه غيره فى الضرب أو الطعن ، قال المهلب : نظره ﷺ فى السيفين واستلاله لهما هو ليرى ما بلغ الدم من سيفيهما ومقدار عمق دخولهما فى جسم المقتول ؛ ليحكم بالسلب لمن كان فى ذلك أبلغ ، ولذلك سألهما أولاً هل مسحتماً سيفيكما أم لا ؟ لأنهما لو مسحاهما لما تبين المراد من ذلك ، وإنما كلاكما قتله وإن كان أحدهما هو الذى أثخنه ليطيب نفس الآخر ، وقال الإسماعيلى : أقول إن الأنصاريين ضرباه فأثخناه وبلغا به المبلغ الذى يعلم معه أنه لا يجوز بقاؤه على تلك الحال إلا قدر ما يطفأ ، وقد دل قوله " كلاكما قتله " على أن كلا منهما وصل إلى قطع الحشوة وإبانتها ، أو بما يعلم أن عمل كل من سيفيهما كعمل الآخر ،غير أن أحدهما سبق بالضرب فصار فى حكم المثبت لجراحه حتى وقعت به ضربة الثانى فاشتركا فى القتل ، إلا أن أحدهما قتله وهو ممتنع ، والآخر قتله وهو مثبت فلذلك قضى بالسلب للسابق إلى إثخانه [1].

إن هذا الحدث نموذج عملى وقع بين يدى رسول الله ﷺ ، فارتفع به شأن القائمين به على صغر سنهما ليكون لمن بعدهما من الأمة الإسلامية أسوة يحتذى به فى الدفع عن رسول الله ﷺ والذود عن حياضه ، وليعلم من نصب نفسه فى ساحة المبارزة أن فى أمة رسول الله ﷺ أياد سديدة الطعان .

---

(١) فتح البارى ٦/٢٨٥ -٢٨٦ رقم ٣١٤١ .

يقول الإمام النووى رحمه الله تعالى : وفى هذا الحديث من الفوائد : المبادرة إلى الخيرات ، والاشتياق إلى الفضائل ، وفيه الغضب لله ولرسوله ﷺ وفيه أنه ينبغى ألا يحتقر أحد، فقد يكون بعض من يستصغر عن القيام بأمر ، أكبر مما فى النفوس وأحق بذلك الأمر كما جرى لهذين الغلامين [١] .

النبى ﷺ يأذن فى رد سيئ الأقوال عنه ﷺ:

الكلمة لها وقعها عند العرب ، وأثرها الحسن أو السيئ لا ينكر عندهم ، إذ فى كثير من المواطن تجد سلاح الكلام هو الحكم الفصل فيما بينهم ، يرتفع به أناس ، ويوضع به آخرون ، وقد استعمل أعداء الإسلام هذا السلاح فى النيل من الإسلام وأتباعه ، ولذا فقد أذن رسول الله ﷺ لأصحابه الكرام فى التعامل مع هؤلاء بعين السلاح الذى سلط عليهم .

أخرج مسلم فى صحيحه بإسناده إلى السيدة عائشة – رضى الله عنها – : أن رسول الله ﷺ قال : " اهجوا قريشاً فإنه أشد عليها من رشق النبال " فأرسل إلى ابن رواحة فقال : " اهجهم فهجاهم فلم يرض ، فأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت فلما دخل عليه ، قال حسان : قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدلع [٢] لسانه فجعل يحركه فقال : والذى بعثك بالحق لأفرينهم [٣] بلسانى فرى الأديم، فقال رسول الله ﷺ: "لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لى فيهم نسباً ، حتى يلخص لك نسبى " فأتاه حسان، ثم رجع فقال: يا رسول الله، قد لخّص لى نسبك ، والذى بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين ، قالت عائشة – رضى الله عنها – : فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان : " إن روح القدس لا يزال يؤيدك ، ما نافحت عن الله ورسوله " ، وقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى [٤] ، قال حسان :

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ٣٠٩/٦ .

(٢) يدلع لسانه : يخرجه حتى ترى حمرته . النهاية فى غريب الحديث ١٢١/٢ .

(٣) أصل الفرى : القطع ، يقال : فريت الشئ أفريه فرياً إذا شققته وقطعته للإصلاح ، وأفريته : إذا شققته على وجه الإفساد، أى لأقطعنهم بالهجاء كما يقطع الأديم . النهاية فى غريب الحديث ٣٩٦/٣ .

(٤) أى : شفى المؤمنين واشتفى هو ، وهو من الشفاء أى البرء من المرض . النهاية فى غريب الحديث ٤٣٦/٢.

هجـوت محمـداً فأجبـت عنـه ∴ وعنـد الله فـي ذاك الجـزاء
هجـوت محمـداً بـراً تقيـاً ∴ رسـول الله شـيمته الوفـاء
فـإن أبـي ووالـده وعرضـي ∴ لعـرض محمـد مـنكم وقـاء
تكلـت بنيتـي إن لـم تروهـا ∴ تثيـر النقـع مـن كنفـي كـداء
يبـارين الأعنـة مـصعدات ∴ علـى أكتافهـا الأسـل الظمـاء
تظـل جيادنـا متمطـرات ∴ تلطمهـن بـالخمر النـساء
فإن أعرضـتموا عنـا اعتمرنـا ∴ وكان الفـتح وانكـشف الغطـاء
وإلا فاصـبروا لـضراب يـوم ∴ يعـز الله فيـه مـن يـشاء
وقـال الله : قـد أرسـلت عبـداً ∴ يقـول الحـق لـيس بـه خفـاء
وقـال الله : قـد يـسرت جنـداً ∴ هم الأنـصار عرضـتها اللقـاء
لنـا فـي كـل يـوم مـن معـد ∴ سـباب أو قتـال أو هجـاء
فمـن يهجـو رسـول الله مـنكم ∴ ويمدحـه وينـصره سـواء
وجبريـل رسـول الله فينـا ∴ وروح القدس ليس لـه كفـاء [1]

يقول الإمام النووى رحمه الله تعالى : وفيه جواز هجاء الكفار ما لم يكن أمان ، وأنه لا غيبة فيه ، وأما أمره ﷺ بهجائهم ، وطلبه ذلك من أصحابه واحداً بعد واحد ، ولم يرضى قول الأول والثانى حتى أمر حسان ﷺ ، فالمقصود منه النكاية فى الكفار ، وقد أمر الله تعالى بالجهاد فى الكفار والإغلاظ عليهم ، وكان هذا الهجو أشد عليهم من رشق النبل فكان مندوباً لذلك ، مع ما فيه من كف أذاهم وبيان نقصهم والانتصار بهجائهم للمسلمين ، قال العلماء : ينبغى ألا يبدأ المشركون بالسب والهجاء مخافة من سبهم الإسلام وأهله قال الله تعالى { ولا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ } [2] ، ولتنـزيه ألسنة المسلمين عن الفحش ، إلا أن تدعوا إلى ذلك ضرورة لابتدائهم به ، فكيف أذاهم ونحوه ، كما فعل النبى ﷺ[3] .

---

(١) صحيح مسلم – كتاب : فضائل الصحابة – باب : فضائل حسان بن ثابت رضى الله عنه ٤/١٩٣٥- ١٩٣٨ رقم ١٥٧ .

(٢) سورة الأنعام : الآية رقم ١٠٨ .

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم ٨/٢٨٨ .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : وفى الحديث جواز سب المشرك جواباً عن سبه المسلمين ، ولا يعارض ذلك مطلق النهى عن سب المشركين ، لئلا يسبوا المسلمين ؛ لأنه محمول على البداءة به ، لا على من أجاب منتصراً [١] .

عندما يرى حسان بن ثابت ﷺ ، أن لسان الأذى قد لحق برسول الله ﷺ ومنهجه الذى جاء به ، إذا به يسارع فى طلب الإذن دفعاً عن النبى ﷺ ودينه .

أخرج مسلم فى صحيحه بإسناده إلى عائشة – رضى الله عنها – قالت : قال حسان ﷺ : يا رسول الله أئذن لى فى أبى سفيان ، قال : " كيف بقرابتى منه ؟ قال : والذى أكرمك لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من الخمير ، فقال حسان :

وإن سنام المجد من آل هاشم ∴ بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

قصيدته هذه [٢] .

قال الإمام النووى رحمه الله تعالى : ومراده بأبى سفيان هذا المذكور المهجو : أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وهو ابن عم النبى ﷺ ، وكان يؤذى النبى ﷺ والمسلمين فى ذلك الوقت ، ثم أسلم وحسن إسلامه [٣].

لكن الإيذاء لرسول الله ﷺ قد يتجاوز الحد بحيث يفحش القول ، وتخبث الألفاظ ، ويظهر العداء للنبى ﷺ وأتباعه بصورة تستدعى مواجهة غير تلك المواجهة اللفظية ، كحال هذا العدو لله عز وجل ولرسوله ﷺ وللدين الذى جاء به .

أخرج أبو داود فى سننه بإسناده إلى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه ، وكان أحد الثلاثة الذين تيب عليهم ، وكان كعب بن الأشرف[٤] يهجو النبى

---

(١) فتح البارى ٥٦٣/١٠ رقم ٦١٥٠ .

(٢) صحيح مسلم – كتاب : فضائل الصحابة – باب فضائل حسان بن ثابت رضى الله عنه ١٩٣٤/٤ – ١٩٣٥ رقم ١٥٦

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم ٢٨٧/٨.

(٤) كعب بن الأشرف الطائى من بنى نبهان شاعر جاهلى ، كانت أمه من بنى النضير فدان باليهودية، وكان سيداً فى أخواله ، أدرك الإسلام ولم يسلم ،وأكثر من هجو النبى ﷺ وآله وأصحابه ، وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم ، والتشبيب بنسائهم ، وخرج إلى مكة بعد وقعة (بدر) فندب قريش فيها ، وحض على الأخذ بثأرهم . الأعلام ٤ / ٢٢٥ .

ﷺ ويحرض عليه كفار قريش ،وكان النبى ﷺ حين قدم المدينة وأهلها أخلاط منهم المسلمون والمشركون يعبدون الأوثان ، واليهود وكانوا يؤذون النبى ﷺ وأصحابه فأمر الله عز وجل نبيه بالصبر والعفو ففيهم أنزل الله { وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ } (١) الآية ، فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينـزع عن أذى النبى ﷺ أمر النبى ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً يقتلونه ، فبعث محمد بن مسلمة (٢) وذكر قصة قتله ، فلما قتلوه فزعت اليهود والمشركون فغدوا على النبى ﷺ فقالوا : طرق صاحبنا فقتل ، فذكر لهم النبى ﷺ الذى كان يقول ، ودعاهم النبى ﷺ إلى أن يكتب كتاباً ينتهون إلى مَا فيه ، فكتب النبى ﷺ بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة (٣) .

هذا العداء المقصود من قبل ابن الأشرف لرسول الله ﷺ وحرصه على عدم العود إلى الصواب ، والكف عن إطلاق اللسان بما يعاب ، كان لابد من قطع ذلك اللسان ، بل وإثبات الضرب فى الجنان ، وهنا نرى الصحب الكرام ﷺ يقودهم الإيمان للدفع عن سيد ولد عدنان ﷺ .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى جابر بن عبد الله ﷺ ما يقول : قال رسول الله ﷺ : " مُن لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله ﷺ: " فقام محمد بن مسلمة فقال : يا رسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال : نعم ، قال : فائذن لى أن أقول شيئاً،

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨٦ .

(٢) محمد بن مسلمة بن سلمة الأنصارى الأوسى الحارثى أبو عبد الرحمن المدنى حليف بنى عبد الأشهل ، ولد قبل البعثة باثنتين وعشرين سنة فى قول الواقدى ، وهو ممن سمى فى الجاهلية محمداً ، شهد المشاهد ، بدراً وما بعدها إلا غزوة تبوك ، فإنه تخلف بإذن النبى ﷺ له أن يقيم بالمدينة ، وكان ممن ذهب إلى قتل كعب بن الأشرف ، وإلى ابن أبى الحقيق ، وكان ممن اعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولا صفين ، ومات بالمدينة فى صفر سنة ست وأربعين وهو ابن سبع وسبعين سنة ، وأرخه المدائنى سنة ثلاث وأربعين . الإصابة ٦ / ٦٣ - ٦٤ ترجمة ٧٨٠٠ .

(٣) سنن أبى داود - كتاب : الخراج والإمارة والفئ - باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة ٣/١٥٣-١٥٤ رقم ٣٠٠٠ ، قال المنذرى : قوله " عن أبيه " فيه نظر ،فإن أباه عبد الله بن كعب ليست له صحبة ، ولا هو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم ويكون الحديث على هذا مرسلاً ، ويحتمل أن يكون أراد بأبيه جده ، وهو كعب بن مالك ، وقد سمع عبد الرحمن من جده كعب بن مالك فيكون الحديث على هذا مسنداً ، وكعب هو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم ، وقد وقع مثل هذا فى الأسانيد فى غير موضع ، يقول فيه عن أبيه وهو يريد به الجد والله عز وجل أعلم - مختصر سنن أبى داود ٤/٢٣٢ ، قلت : وعلى القول باتصال الإسناد فإنه إسناد صحيح

قال: " قل " فأتاه محمد بن مسلمة فقال : إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عنانا ، وإنى قد أتيتك أستلفك ، قال : وأيضاً والله لتُملنَّه ، قال : إنا قد اتبعناه، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أى شئ يصير شأنه ، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين – وحدثنا عمرو [١] غير مرة ، فلم يذكر وسقاً أو وسقين ، فقلت له : فيه وسقاً أو وسقين؟ فقال : أرى فيه وسقاً أو وسقين – فقال:نعم ، ارهنونى ، قالوا : أى شئ تريد ؟ قال : ارهنونى نساءكم ، قالوا : كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ؟ قال : فارهنونى أبناءكم ، قالوا : كيف نرهنك أبناءنا ، فيسب أحدهم ، فيقال : رهن بوسق أو وسقين ، هذا عار علينا ، ولكنا نرهنك اللأمة [٢] – قال سفيان: يعنى السلاح – فواعده أن يأتيه فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة [٣] ، وهو أخو كعب من الرضاعة ، فدعاهم إلى الحصن فنـــزل إليهم ، فقالت له امرأته : أين تخرج هذه الساعة ؟ فقال : إنما هو محمد بن مسلمة وأخى أبو نائلة ، وقال غير عمرو، قالت: أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم، قال: إنما هو أخى محمد بن مسلمة ، ورضيعى أبو نائلة ، إن الكريم لو دعى إلى طعنة بليل لأجاب ، قال : ويدخل محمد بن مسلمة مع رجلين – قيل لسفيان : سماهم عمرو، قال: سمى بعضهم – قال عمرو : جاء معه برجلين ، وقال غير عمرو : أبو عبس بن جبر والحارث بن أوس وعباد بن بشر ، قال عمرو : جاء معه برجلين ، فقال : إذا ما جاء فإنى قائل بشعره فأشمه ، فإذا رأيتمونى استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه ، وقال مرة: ثم أشمكم، فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفخ منه ريح الطيب ، فقال : ما رأيت كاليوم ريحاً –أى أطيب– وقال غير عمرو: قال: عندى أعطر نساء العرب وأكمل العرب ، قال عمرو :فقال : أتأذن لى أن أشم رأسك ؟ قال : نعم فشمه ثم أشم أصحابه، ثم قال: أتأذن لى ؟ قال : نعم فلما استمكن منه، قال: دونكم، فقتلوه ثم أتوا النبى ﷺ فأخبروه[٤].

---

(١) هو عمرو بن دينار الراوى عن جابر رضى الله عنه .

(٢) اللأمة مهموزة : الدرع ، وقيل : السلاح ، ولأمة الحرب : أداته ، وقد تترك الهمـز تخفيفـاً . النهاية فى غريب الحديث ٤/١٩١ .

(٣) هو : سلكان بن سلامة بن وقش الأنصارى الأوسى الأشهلى ، وقيل : سلكان لقب واسمه : سعد ، وهو مشهور بكنيته ، ثبت ذكره فى الصحيح فى قصة قتل كعب بن الأشـرف ، وشـهد أحـداً وغيرها ، وكان شاعراً ومن الرماة المذكورين . الإصابة ٧ / ١٩١ – ١٩٢ ترجمة ١١٣٥ .

(٤) صحيح البخارى – كتاب : المغازى – باب : قتل كعب بن الأشرف ٣/ ١٢٣٠ – ١٢٣١ رقـم ٤٠٣٨ ، صحيح مسلم – كتاب : الجهاد والسير – باب : قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهـود ٣/١٤٢٥ – ١٤٢٦رقم ١١٩ ، سنن أبى داود – كتاب : الجهاد – باب : فى العدو يؤتى على غرة ٣ / ٨٧ رقم ٢٧٦٨

لاحظ حرص محمد بن مسلمة ﷺ فى القضاء على من آذى الله عز وجل ورسوله ﷺ، كما أنه من الواجب أن يلحظ أن المشارك فى قتل ابن الأشرف أخوه فى الرضاعة أبو نائلة ﷺ ، حتى يعطى المثل الأعلى لأمة رسول الله ﷺ ، أن المحبة لله عز وجل ولرسوله ﷺ، والدفع عن منهج الله تعالى فى أرضه ، والرد لكيد أعداء نبى الإسلام ﷺ، فوق صلة النسب والقرابة ، بهذا تخلقوا ، وله دانوا فى أقوالهم وأفعالهم ، فنعم الصحب الكرام هم ، ونعم الصاحب لهم هو ﷺ.

قال الإمام النووى رحمه الله تعالى : ذكر مسلم قصة محمد بن مسلمة مع كعب بن الأشرف بالحيلة التى ذكرها من مخادعته ، واختلف العلماء فى سبب ذلك وجوابه ، فقال الإمام المازرى : إنما قتله كذلك ؛ لأنه نقض عهد النبى ﷺ وهجاه وسبه ، وكان عاهد ألا يعين عليه أحداً ، ثم جاء مع أهل الحرب معيناً عليه [1].

هكذا يضع النبى ﷺ وأصحابه الكرام الأمور فى نصابها ، بحيث يعطى كل أمر حقه فى المعالجة ، ونصيبه من التقويم ، ولو ترك لمثل هذا العدو الحبل على غاربه لاستطال فى الهجاء والسباب والإعانة على الإسلام وأتباعه ، فكان من الصواب القضاء عليه ، سلامة من سوء ما يخرجه ما بين فكيه .

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ٤٠٢/٦.

المبحث الثانى

دفع الأصحاب ﷺ عن النبى ﷺ سيئ الأفعال

تمهيد :

تجرأ بعض أهل الكفر على شخص رسول الله ﷺ فإذا بهم يقصدونه بالاعتداء على شخصه الكريم ﷺ ، وأحياناً تكون فعالهم بهدف الفتك به ﷺ قتلاً ، وضح هذا فى أكثر من صورة سيئة جابه بها أهل الكفر رسول الله ﷺ .

لكن ترى أيمس رسول الله ﷺ بسوء وفى أصحابه الكرام ﷺ عين تطرف أو قلب يرهف ، كلا ، بدلالة الواقع ، وتعدد المواقع ، إذ ترى أصحاب رسول الله ﷺ يدفعون عنه كيد أعدائه ، فمن قصده ﷺ بالاعتداء رد كيده ، وأعلى على أيدى الصحب الكرام ﷺ قدر صيده ، ومن جهد فى الفتك به ﷺ رد الصحب الكرام سهمه فى نحره ، وسيفه فى موطن حتفه ، معلنين بالأفعال – إضافة إلى الأقوال – أن رسول الله ﷺ محاط من قبلهم بأقوى دعائم الحرص على الدفع عنه ﷺ ، سواء أسلمت منهم الأجساد ، أم لاقت أرواحهم رب العباد عز وجل .

لقد أبلى أصحاب رسول الله ﷺ بلاء حسناً فى نصرته ﷺ أينما حل وارتحل ، على أنك ترى منهم فى ساحة القتال صوراً من الفخر دفعاً عنه ﷺ ودفاعاً عن منهجه القويم، وكأنهم يحققون ما به ينطقون من كونه ﷺ أحب إليهم وأقرب إلى قلوبهم من الأهل والمال والولد، مظهرين من خلال ذلك الإعظام والإجلال والتوقير لرسول الله ﷺ.

قصد رسول الله ﷺ من قبل أعدائه فى هذا الدين الحنيف الذى جاء يدعو إليه بكثير من الإيذاءات والاعتداءات ، كان هذا منذ بداية دعوته ﷺ، وخاصة من أقرب الناس إليه ، لكن هذا المقصد السيئ ، والفعل المؤذى له ﷺ قوبل من الصحب الكرام ﷺ بالدفع والمواجهة ، سواء كان التعدى قد وقع بالفعل أو أريد به إيذاءه ﷺ.

أولاً : نصرة رسول الله ﷺ بعد وقوع الأذى به فى حضوره ﷺ:

ما إن أعلن رسول الله ﷺ دعوته الجديدة ، حتى وجد من قومه من ناصبه العداء وعمد إلى شخصه بالإيذاء ، مع علمهم بصدق لسانه ، وطيب أركانه ﷺ ، لكن الحسد الذى ملأ على هؤلاء قلوبهم وخوفهم من زوال الدنيا من تحت أقدامهم ، جعلا منهم سداً منيعاً فى وجه الداعى وما جاء يدعو إليه .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه– أن النبى ﷺ : كان يصلى عند البيت – وأبو جهل وأصحاب له جلوس – إذ قال بعضهم لبعض : أيكم يجئ بسلا[1] جزور بنى فلان ، فيضعه على ظهر محمد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى[2] القوم فجاء به ، فنظر حتى إذا سجد النبى ﷺ ، وضعه على ظهره بين كتفيه ، وأنا أنظر لا أغنى شيئاً ، لو كانت لى منعة ، قال : فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض ، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة ، فطرحت عن ظهره ، فرفع رأسه ثم قال : " اللهم عليك بقريش – " ثلاث مرات " – فشق عليهم إذ دعا عليهم ، قال : وكانوا يرون أن الدعوة فى ذلك البلد مستجابة ثم سمى : " اللهم عليك بأبى جهل ، وعليك بعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف وعقبة بن أبى معيط " وعد السابع فلم نحفظه ، قال : فو الذى نفسى بيده ، لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ صرعى فى القليب قليب بدر [3].

تأمل موقف عبد الله بن مسعود ﷺ إذ يحزنه ما وقع برسول الله ﷺ من الأذى والاعتداء ، كما أن حزنه وألمه أشد عليه إذ لا يستطيع الدفع عن رسول الله ﷺ ورد كيد أعدائه عنه ؛ لقلة المنعة ، وفقدان الناصر ، وعدم المعين له من أقربائه ، فكيف يغنى شيئاً عن رسول الله ﷺ وهو فرد فى مقابلة عصابة من القساة العتاة ؟!

---

(١) هو: الجلد الرقيق الذى يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه. النهاية فى غريب الحديث٢/٣٥٧.

(٢) هو : عقبة بن أبى معيط سماه مسلم فى صحيحه – كتاب : الجهاد والسير– باب: ما لقى النبى ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ٣/١٤١٩ رقم ١٠٨

(٣) صحيح البخارى – كتاب : الوضوء – باب إذا ألقى على ظهر المصلى قذراً أو جيفة لم تفسد عليه صلاته ١/٩٦-٩٧ رقم ٢٤٠ ، صحيح مسلم / كتاب : الجهاد والسير – باب ما لقى النبى ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ٣/١٤١٨- ١٤١٩ رقم ١٠٧ .

إنه ﷺ ينص صراحة على انفعاله فى جوار رسول الله ﷺ لو كان له منعة أو قوة يأوى إليها، أو تعينه على مقصده من الدفع عنه ﷺ ، أو حتى تضمن له الدفع عنه إن بادر إلى الدفع عن رسول الله ﷺ ، إذاً لسارع فى رد الأذى عن رسول الله ﷺ : " وأنا قائم أنظر، لو كانت لى منعة طرحته عن رسول الله ﷺ" (١) هذا قوله وذاك موقفه ﷺ.

يقول الإمام النووى رحمه الله تعالى : قوله " لو كانت لى منعة طرحته " معناه : لو كان لى قوة تمنع أذاهم ، أو كان لى عشيرة بمكة تمنعنى (٢) .

إن ألم ابن مسعود ﷺ لما يصنع برسول الله ﷺ من أذى ، وألمه لعدم استطاعته الدفع عنه ، يجعل له نصيباً من الثناء وقوفاً فى جوار رسول الله ﷺ ، وحرصاً على الذود عن حياضه ، لكن كمال الثناء ولواء الفضل فى رد أذى أهل الكفر عنه ﷺ فى هذا الموقف ، يرتفع بيد ابنته السيدة فاطمة – رضى الله عنها – ، و التى تعلن المواجهة الصريحة لأعداء أبيها ﷺ ، فإذا بها تطرح الأذى عن ظهر أبيها ﷺ ، ثم تقبل على أهل الكفر تسبهم ، " فأنطلق منطلق إلى فاطمة عليها السلام – وهى جويرية فأقبلت تسعى ،وثبت النبى ﷺ ساجداً حتى ألقته عنه ، وأقبلت عليهم تسبهم " (٣) ، فى عزمة لا تلين ،، وقوة فى الدين ، وحرص على الدفع عن رسول رب العالمين .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : وفيه قوة نفس فاطمة الزهراء من صغرها ، لشرفها فى قومها ونفسها ، لكونها صرخت بشتمهم وهم رؤوس قريش ، فلم يردوا عليها (٤) .

رد السيدة فاطمة – رضى الله عنها – عن أبيها على قدرها ، ورد ابن مسعود ﷺ عن رسول الله ﷺ قدر استطاعته ومنعته ،لكن أشقى القوم لن يمل قصد رسول الله ﷺ بالأذى والاعتداء

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى عروة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ (١) ، قال : رأيت عقبة بن أبى

---

(١) صحيح مسلم– كتاب الجهاد والسير– باب: ما لقى من أذى المشركين والمنافقين ١٤١٨/٣ رقم١٠٧.

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ٣٩٥/٦ .

(٣) صحيح البخارى –كتاب الصلاة– باب المرأة تطرح عن المصلى شيئاً من الأذى ١٧٥/١ رقم٥٢٠.

(٤) فتح البارى ٤٢٠/١ رقم ٢٤٠.

معيط، جاء إلى النبى ﷺ وهو يصلى ، فوضع رداءه فى عنقه فخنقه به خنقاً شديداً ، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه ، فقال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم (٢) ؟

إنه العداء البين لرسول الله ﷺ ، أن يقصد بهذه الصورة من التعدى وهو الذى جاءهم بالآيات البينات التى تخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، لكن الحقد – والحسد وعمى البصائر – يفعل بأتباعه الأفاعيل ، أما إن كان الأمر على هذا النحو ، فإن للحق رجالاً ، وله أنصار يدفعون عنه ، ويرفعون لواءه ، فإذا بالصديق ﷺ يقبل مسرعاً مدافعاً عن رسول الله ﷺ دافعاً لشخص عدوه عنه ﷺ، وكأن قوله " أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله ... " يشير إلى أن عقبة بن أبى معيط لم يكن وحده فى هذا الموقف المعادى لرسول الله ﷺ – وإن سبق غيره بمباشرته – وإنما معه من أعداء النبى ﷺ آخرين ، لكن الصديق ﷺ فى سبيل الدفع عن رسول الله ﷺ لم يأبه بجماعة ، ولم يخف من اجتماع .

إن هذا الحدث يوضح شدة العداء لرسول الله ﷺ من قبل أهل الكفر ، كما يظهر المحبة الخالصة له ﷺمن قبل أصحابه الكرام – رضى الله عنهم– فى شخص الصديق ﷺ هنا – وأيضاً يبين علو قدر رسول الله ﷺ عند أتباعه من الصحب الكرام ﷺ .

صور الإيمان لا تزال تكرر على يدى أصحاب رسول الله ﷺ أدباً معه ﷺ ، ورداً لكيد أعدائه ممن قصده بالإيذاء والانتقاص .

---

(١) قال الحافظ ابن حجر : قوله " بأشد شئ صنعه ...الخ) هذا الذى أجاب به عبد الله بن عمرو يخالف ما تقدم من حديث عائشة رضى الله عنها – أخرج البخارى فى صحيحه : من حديث السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : للنبى ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت . صحيح البخارى – كتاب : بدء الخلق – باب إذا قال أحدكم أمين والملائكة فى السماء فوافقت أحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ٢/٩٩٧ – ٩٩٨ رقم ٢٣٣١ – والجمع بينهما أن عبد الله بن عمرو استند إلى ما رواه ولم يكن حاضراً للقصة التى وقعت بالطائف . فتح البارى ٧/٢٠٥ رقم ٣٨٥٦ .

(٢) صحيح البخارى – كتاب : فضائل أصحاب النبى ﷺ – باب : قول النبى ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً ٣/١١٣١– ١١٣٢ رقم ٣٦٧٨ ، مسند الإمام أحمد ٢ / ٢٠٤ رقم ٦٩٠٨ .

أخرج البخارى فى صحيحه من حديث المسور بن مخرمة ﷺ فى موقف المغيرة بن شعبة ﷺ من عم أبيه عروة بن مسعود الثقفى [١] وفيه " وجعل يكلم رسول الله ﷺ، فكلما تكلم أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة ﷺ[٢] قائم على رأس النبى ﷺ ، ومعه السيف وعليه المغفر ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبى ﷺ ضرب يده بنعل السيف [٣] ، وقال له : أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروة رأسه فقال : من هذا ؟ قالوا : المغيرة بن شعبة ، فقال : أى غدر ألست أسعى فى غدرتك ،وكان المغيرة صحب قوماً فى الجاهلية فقتلهم ، وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبى ﷺ : " أما الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه فى شئ " [٤]

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : كانت عادة العرب أن يتناول الرجل لحية من يكلمه ولاسيما عند الملاطفة ، وفى الغالب إنما يصنع ذلك النظير بالنظير لكن كان النبى ﷺ يغض لعروة عن ذلك استمالة له وتأليفاً ، والمغيرة يمنعه إجلالاً للنبى ﷺ وتعظيماً [٥] .

نعم لابد من إعظام رسول الله ﷺ وإجلاله ، والبيان للغير أن الرأفة والرحمة وحسن التأليف على هذا الدين منه ﷺ، لن تكون طريقاً إلى إنزاله ﷺ من عالى رفعته وعظيم قدره ، إن أحسن الغير فهم هذه المعانى فهو المراد ، وإلا فلابد أن يروا بأعينهم عظيم قدر النبى ﷺ فى نفسه وعند أصحابه الكرام ﷺ .

---

(١) عروة بن مسعود بن معتب الثقفى وهو عم والد المغيرة بن شعبة وأمه سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف أخت آمنة ، كان أحد الأكابر من قومه ، وثبت ذكر عروه بن مسعود فى الحديث الصحيح فى قصة الحديبية وكانت له اليد البيضاء فى تقرير الصلح . الإصابة ٤ / ٢٣٨ – ٢٣٩ ترجمة ٥٥١٨ .

(٢) المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود الثقفى ، أسلم قبل عمرة الحديبية ، وشهدها وبيعة الرضوان ، وله فيها ذكر ، وشهد اليمامة وفتوح الشام والعراق ، ولاه عمر الكوفة وأقره عثمان ثم عزله ، فلما قتل اعتزل القتال إلى أن حضر مع الحكمين ثم بايع معاوية بعد أن اجتمع الناس عليه، ثم ولاه بعد ذلك الكوفة فاستمر على إمرتها حتى مات سنة خمسين عند الأكثر ، وقيل : قبلها بسنة ، وقيل : بعدها بسنة . الإصابة ٦ / ١٣١ – ١٣٢ ترجمة ٨١٧٥ .

(٣) نعل السيف : الحديدة التى تكون فى أسفل القراب . النهاية فى غريب الحديث ٥/٧٠ .

(٤) صحيح البخارى – كتاب : الشروط – باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ٢/٨٣٥ رقم ٢٧٣١ – ٢٧٣٢ ، سنن أبى داود كتاب : الجهاد – باب : فى صلح العدو ٣ / ٨٥– ٨٦ رقم ٢٧٦٥ ، مسند الإمام أحمد ٤ / ٣٢٣ – ٣٢٤ رقم ١٨٩٣٠ .

(٥) فتح البارى ٥/٤٠١ – ٤٠٢ رقم ٢٧٣١ – ٢٧٣٢.

إن موطن الإعجاب بموقف المغيرة بن شعبة ﷺ ليس فى حرصه على إعظام قدر النبى ﷺ فقط ، وإنما فى كون المقابل له عم أبيه ، عصباً ونسباً ، لكن علاقة الصحب الكرام وإجلالهم لخير الأنام ﷺ فوق علاقة النسب والعصب ، كيف وما جاءهم به هو أصل السبق والتقديم ؟

ثم أنظر إلى هذا الحرص الجماعى من أصحاب رسول الله ﷺ فى نصرته والدفع عنه لتعلم أن الجميع على أرقى صورة النصرة للنبى ﷺ .

أخرج مسلم فى صحيحه بإسناده إلى أنس ﷺ : أن امرأة يهودية [١] أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها ، فجئ بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك ؟ فقالت : أردت لأقتلك ، قال :" ما كان الله ليسلطك على ذاك " قال أو قال : " علىّ " قال قالوا : ألا نقتلها؟ [٢] قال : " لا " قال : فما زلت أعرفها فى لهوات[٣] رسول الله ﷺ [٤].

لم يقف أصحاب رسول الله ﷺ سكوتاً بعدما علموا بخبر تلك المرأة التى أرادت قتل رسول الله ﷺ ، وإنما أرادوا فى عزمة إيمانية قتلها ، إذ من أظهر العداء لرسول الله ﷺ لابد أن يعادى ، ومن نصب نفسه لقتاله لابد أن يقاتل ، لكن رسول الله ﷺ رفض ذلك واكتفى بنعمة الله عز وجل عليه فى النجاة فى صور من الإعجاز واضحة.

---

(١) هذا المرأة اليهودية الفاعلة للسم اسمها : زينب بنت الحارث أخت مرحب اليهودى . شرح النووى على صحيح مسلم ٤٣٤/٧ .

(٢) نقل النووى عن القاضى عياض قوله : اختلفت الآثار والعلماء هل قتلها النبى ﷺ أم لا ؟ فوقع فى مسلم " أنهم قالوا : ألا نقتلها ؟ قال :لا " ومثله عن أبى هريرة وجابر رضى الله عنها ، وعن جابر من رواية أبى سلمة أنه ﷺ قتلها، وفى رواية ابن عباس رضى الله عنهما أنه ﷺ دفعها إلى أولياء بشر بن البراء بن معرور ، وكان أكل منها فمات بها فقتلوها – " فأمر بها رسول الله ﷺ فقتلت " . سن أبى داود – كتاب الديات – باب : فيمن سقى رجلاً سماً أو أطعمه فمات أيقاد منه ٤ / ١٧٦ – ١٧٧ رقم ٤٥١١– وقال ابن سحنون : أجمع أهل الحديث أن رسول الله ﷺ قتلها ، قال القاضى : وجه الجمع بين هذه الروايات والأقاويل أنه لم يقتلها أولاً ، حين أطلع على سمها وقيل له : اقتلها فقال : لا ، فلما مات بشر بن البراء من ذلك سلمها لأوليائه فقتلوها قصاصاً ، فيصبح قولهم : لم يقتلها ، أى فى الحال ، ويصح قولهم : قتلها أى بعد ذلك . شرح النووى على صحيح مسلم ٤٣٤/٧ .

(٣) اللهوات : جمع لهاة ، وهى اللحمات فى سقف أقصى الفم . النهاية فى غريب الحديث ٢٤٣/٤ .

(٤) صحيح مسلم كتاب : السلام – باب : السم ١٧٢١/٤ رقم ٤٥ ، صحيح البخارى – كتاب : الهبة وفضلها – باب : قبول الهدية من المشركين ٢ / ٧٨٩ رقم ٢٦١٧ ، سنن أبى داود – كتاب : الديات – باب : فيمن سقى رجلاً سماً أو أطعمه فمات أيقاد منه ٤ / ١٧٣ رقم ٤٥٠٨ .

يقول الإمام النووى رحمه الله تعالى : قوله ﷺ : " ما كان الله ليسلطك على ذاك أو قال : علىّ " فيه بيان عصمته ﷺ من الناس كلهم كما قال الله : { واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } [١] وهى معجزة لرسول الله ﷺ فى سلامته من السم المهلك لغيره ، وفى إعلام الله تعالى له بأنها مسمومة وكلام عضو منها له [٢] .

ثانياً : نصرته ﷺ إذا ما أوذى فى غير حضوره :

فى أى بقعة من بقاع الأرض يعرض حدث من الأحداث يؤذى فيه رسول الله ﷺ فى شخصه، وفى علو قدره وارتفاع مكانته تجد أصحابه الكرام ﷺ ، لذلك بالمرصاد، نصرة لرسول الله ﷺ ودفعاً عن عظيم نفسه ونفاسته .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى سلمة بن الأكوع ﷺ يقول : خرجت قبل أن يؤذن بالأولى ، وكانت لقاح [٣] رسول الله ﷺ ترعى بذى قرد [٤] ، قال : فلقينى غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال : أخذت لقاح رسول الله ﷺ ، قلت : من أخذها ؟ قال غطفان [٥] ، قال : فصرخت ثلاث صرخات : يا صباحاه ، قال : فأسمعت ما بين لابتى المدينة[٦] ، ثم اندفعت على وجهى حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون الماء ، فجعلت أرميهم بنبلى – وكنت رامياً – وأقول :

أنا ابن الأكوع ∴ اليوم يوم الرضع [٧]

---

(١) سورة المائدة : من الآية رقم ٦٧ .

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ٤٣٤/٧ .

(٣) اللقحة : بالكسر والفتح : الناقة القريبة العهد بالنتاج ، والجمع لقح ، واللقاح : ذوات الألبان ، الواحدة لَقُوح . النهاية فى غريب الحديث ٢٢٥/٤ .

(٤) ذو قرد : ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر ، وقال القاضى : بين ذى قرد والمدينة نحو يوم، وقيل: غزوة الغابة هى غزوة ذى قرد كانت فى سنة ست . معجم البلدان ٤ / ٣٢١ – ٣٢٢.

(٥) غطفان بن سعد : بطن عظيم متسع كثير الشعوب والأفخاذ من قيس بن عيلان من العدنانية ، كانت منازلهم بنجد مما يلى وادى القرى وجبل طئ ، وينقسم إلى ثلاثة أفخاذ عظيمة : أشجع بن ريث ، عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان وذبيان . معجم قبائل العرب ٣ / ٨٨٨ .

(٦) اللابة : الحرة وهى الأرض ذات الحجارة السود التى ألبستها لكثرتها، وجمعها: لابات، فإذا كثرت فهى اللاب، واللوب، والمدينة ما بين حرتين عظيمتين. النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢٣٥/٥ .

(٧) معناه : اليوم يعرف من ارتضع كريمة فأنجبته ولئيمة فهجنته ، وقيل : اليوم يعرف من أرضعته الحرب من صغره وتدرب بها من غيره ، وقيل معناه هذا يوم شديد عليكم تفارق فيه المرضعة من أرضعته فلا تجد من ترضعه . فتح البارى ٥٢٨/٧ رقم ٤١٩٤.

وأرتجز حتى استنقذت اللقاح منهم ، واستلبت ثلاثين بردة ، قال : وجاء النبى ﷺ والناس ، فقلت : يا نبى الله قد حميت القوم الماء وهم عطاش ، فأبعث إليهم الساعة ، فقال:" يا ابن الأكوع ، ملكت فأسجح " (١) ، قال : ثم رجعنا ويردفنى رسول الله ﷺ على ناقته حتى دخلنا المدينة (٢) .

يعتدى على قدر رسول الله ﷺ ومنزلته فى لقاحه ﷺ ، ثم يقف من أعلم بذلك من صحبه الكرام ، دون دفع أورد لكيد الأعداء ، هذا ما لا يكون أبداً ، بل الحرص على معاداة من بادر بعداء رسول الله ﷺ هو الخلق المحقق ، والعدو خلف العدو على الأقدام دون خوف أو رهبة هو الفعل الثابت من صاحب رسول الله ﷺ سلمة بن الأكوع ﷺ ، ولم ينفك ﷺ عن أعداء النبى ﷺ حتى استنقذ منهم لقاح رسول الله ﷺ ، رافعاً بذلك راية إعلاء القدر لرسول الله ﷺ ،مظهراً للأعداء أن حياض رسول الله ﷺ لا يمس بسوء وفى أصحابه عين تطرف

من قصد قدر رسول الله ﷺ بالانتقاص ، هاهو يهان بيدى أحد أصحاب رسول الله ﷺ ، فيذل بانتزاع ما تمكنت منه يداه فى صورة من المهانة لها خطرها ، إذ لو عند هؤلاء من الشجاعة المدعاة ، أو القوة الزائفة فعليهم أن يحموا ما يقع تحت أيديهم مما نالوه من غيرهم ، ثم يظهر صاحب رسول الله ﷺ المهانة لهؤلاء بصورة أبلغ فى الوضوح باستلابه الكثير من أمتعتهم ، حدث هذا وهو فرد وهم جماعة ؛ ليعطى للأمة قدرها فى حماتها الذين ينصرون نبيهم ﷺ ويدفعون عن دينهم ، دون خوف من عدد أو عدة ،وإنما هو الإيمان بهذا النبى الخاتم ﷺ ، والمحبة له يزيدان المسلم يقيناً على يقين، وقوة عزمتها لن تلين .

إن حرص الصحب الكرام ﷺ فى الدفع عن رسول الله ﷺ، شهر أمره وعرف عندهم وعند أعداء الإسلام عظيم تحقيقه ، بحيث ترى عزيمتهم فى هذا الشأن رائده ، وقناتهم فى ذاك الفضل صائبه .

---

(١) أى : قدرت فسهّل وأحسن العفو . النهاية فى غريب الحديث ٣٠٨/٢ .

(٢) صحيح البخارى – كتاب : المغازى – باب غزوة ذات القرد ١٢٧٦/٣ رقم ٤١٩٤، صحيح مسلم– كتاب : الجهاد والسير – باب غزوة ذى قرد وغيرها ١٤٣٢/٣-١٤٣٣ رقم ١٣١ .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى البراء بن عازب ﷺ قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أبى رافع اليهودى رجالاً من الأنصار ، فأمرَّ عليهم عبد الله بن عتيك [١] ، وكان أبو رافع يؤذى رسول الله ﷺ ويعين عليه، وكان فى حصن له بأرض الحجاز[٢]، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس، وراح الناس بسرحهم فقال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم ، فإنى منطلق ، ومتلطف للبواب ، لعلىَّ أن أدخل ، فأقبل حتى دنا من الباب ، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضى حاجة ، وقد دخل الناس ، فهتف به البواب : يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فأدخل فإنى أريد أن أغلق الباب ، فدخلت فكمنت فلما دخل الناس أغلق الباب ، ثم علق الأغاليق على وتد، قال: فقمت إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب، وكان أبو رافع يسمر عنده، وكان فى علا لىَّ له، فلما ذهب عنه أهل سمره، صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت علىَّ من داخل، قلت: إن القوم نذروا بى لم يخلصوا إلىَّ حتى أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو فى بيت مظلم وسط عياله، لا أدرى أين هو من البيت ، فقلت : أبا رافع ، قال :من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش ، فما أغنيت شيئاً ، وصاح فخرجت من البيت ، فأمكث غير بعيد ، ثم دخلت إليه ، فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ فقال : لأمك الويل ، إن رجلاً فى البيت ضربنى قبل بالسيف ، قال : فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ، ثم وضعت ظبة [٣] السيف فى بطنه حتى أخذ فى ظهره ، فعرفت أنى قتلته ، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له ، فوضعت رجلى ، وأنا أرى أنى قد انتهيت إلى الأرض فوقعت فى ليلة مقمرة فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامة ، ثم انطلقت حتى جلست على الباب ، فقلت : لا أخرج الليلة حتى أعلم : أقتلته ؟ فلما صاح الديك قام الناعى على السور فقال : أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز فانطلقت إلى أصحابى فقلت : النجاء ،

---

(١) عبد الله بن عتيك بن قيس الأنصارى ، قال أبو عمر : لا يختلفون أنه شهد أحداً وما بعدها ، وأظنه شهد بدراً ، وزعم ابن أبى داود أنه استشهد باليمامة ، وأما ابن الكلبى فقال : شهد صفين ، قال البغوى : بلغنى أن عبد الله بن عتيك قتل يوم اليمامة شهيداً فى خلافة أبى بكر سنة اثنتى عشرة. الإصابة ١٠١/٤ ترجمة ٤٨٠٧، الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ٧٧/٣ ترجمة ١٦٢٣.

(٢) الحجاز : بالكسر وآخره زاى : جبل ممتد حال بين الغور غور تهامة ونجد ، فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر ، فهو حاجز بينهما ، وقيل اثنتا عشرة داراً المدينة وخيبر وفدك ونو المروة ، ودار بلى ودار أشجع ودار مزينة ودار جهينة ونفر من هوزان وجبل سليم وجبل هلال وظهر حرة ليلى ومما يلى شغب وبدا . معجم البلدان ٢ / ٢١٨ .

(٣) هو طرفه ويجمع على الظباة والظبين . النهاية فى غريب الحديث ١٤١/٣ .

فقد قتل الله أبا رافع ، فانتهيت إلى النبى ﷺفحدثته فقال : " ابسط رجلك " فبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم أشتكها قط [١] .

يهودى بلغ به الشقاء حد الإيذاء لرسول الله ﷺ والإعانة عليه باللسان واليد والمال، حقيق أن يقابل بالعداء من أصحاب رسول الله ﷺ، وحرىٌّ أن يحرص عبد الله بن عتيك-رضى الله عنه- على القضاء عليه، على هذه الصورة الإيمانية قصداً لروحه بالإزهاق ؛ لمواجهته رسول الله ﷺ بالشقاق .

تدبر حاله ﷺ وهو يجارى البواب حتى تمكن من دخول الحصن ، ثم جليل فعله بإغلاق الأبواب خلفه غير راهب من الاعتداء عليه أو الإمساك به ، وغير خائف من القضاء عليه ، همه فقط هو النيل بالقتل ممن آذى رسول الله ﷺ وأعان عليه ، فحياته رهناً عنده لذلك " فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت على من الداخل ، قلت : إن القوم نذروا بى لم يخلصوا إلىَّ حتى أقتله " ثم أذكر له ﷺ حسن صنيعه فى كيفية معرفته لمكان أبى رافع ثم المبادرة بضربه بالسيف وتكراره لهذه الصورة الحكيمة لإنفاذ ما عزم على إنفاذه ، كما أنه لا ينسى فضله ﷺ وفضيلته – مع إصابة ساقه – فى عدم مفارقة الحصن حتى يتأكد من قتله لعدو النبى ﷺ " فقلتُ : لا أخرج الليلة حتى أعلم : أقتله ؟ " ؛ ليؤكد أن الصحب الكرام على أرقى صور التضحية والحرص على الدفع عن رسول الله ﷺ ، مهما كلفهم ذلك من نفيس أو أنفس .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : وفى هذا الحديث من الفوائد : جواز اغتيال المشرك الذى بلغته الدعوة وأصر ، وقتل من أعان على رسول الله ﷺ بيده أو ماله أو لسانه ، وجواز التجسس على أهل الحرب وتطلب غرتهم ، والأخذ بالشدة فى محاربة المشركين ، وجواز إبهام القول للمصلحة ، وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين ، والحكم بالدليل والعلامة لاستدلال ابن عتيك على أبى رافع بصوته ، واعتماده على صوت الناعى بموته والله أعلم [٢].

أحسن عبد الله بن عتيك – رضى الله عنه- البلاء ، وأجاد فى إنفاذ ما قصد إليه بالإمضاء ، لكن ساقه أصيبت فى سبيل هذا الإنفاذ ، فإذا برسول الله ﷺ له ملاذ "

---

(١) صحيح البخارى-كتاب: المغازى-باب قتل أبى رافع عبد الله بن أبى الحقيق ٣/١٢٣٢رقم٤٠٤٠ .

(٢) فتح البارى ٧/٤٠٠ رقم ٤٠٤٠ .

فانتهيت إلى النبى ﷺ فحدثته فقال لى : " أبسط رجلك ، فبسطت رجلى فمسحها فكأنها لم أشتكها قط " فموطن الشكاة بين يديه ﷺ هو موطن الشفاء .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : ثم لما أتى النبى ﷺ مسح عليه فزال عنه جميع الألم ببركته ﷺ (١) .

لن يذهب فضل المدافع عن رسول الله ﷺ سدى ، ولن يصاب وهو ينافح عنه ﷺ بأذى ، إذ المثوبة عند الله عز وجل محققه ، وحسن المآب بين يدى الخالق سبحانه وتعالى به السنة – والكتاب – ناطقة .

فى ساحة القتال ينافح الأصحاب ﷺ عن نبيهم ﷺ:

إذا أظهر الواقع احتدام النزاع بين رسول الله ﷺ وأعدائه ، بحيث شهرت السيوف، وضرب لبدء الحرب الدفوف ، فإن أصحاب رسول الله ﷺ لأعداء النبى ﷺ بالمرصاد، يثبتون عند اللقاء ، ويحسنون الرمى فى نحور الأعداء .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم : يزيد أحدهما على صاحبه قالاً : خرج النبى ﷺ عام الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه ، فلما أتى ذا الحليفة (٢) ، قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمرة ، وبعث عيناً له من خزاعة (٣) ، وسار النبى ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط(٤) أتاه عينه ، قال : إن قريشاً جمعوا لك جموعاً ، ، وقد جمعوا لك الأحابيش(٥) ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك ، فقال : " أشيروا أيها الناس علىَّ أترون أن أميل إلى عيالهم وذراريَّ هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عيناً

---

(١) المرجع السابق .

(٢) قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة ، ومنها ميقات أهل المدينة وهو من مياه جشم بينهم وبنى خفاجة من عقيل . معجم البلدان ٢ / ٢٩٥ – ٢٩٦ .

(٣) خزاعة : قبيلة من الأزد من القحطانية ، وهم : بنو عمرو بن ربيعة ، منازلهم بأنحاء مكة فى مر الظهران . معجم قبائل العرب ١ / ٣٣٨ – ٣٣٩ .

(٤) الشطط وهو الجور ومجاوزة القدر، وغدير الأشطاط قريب من عسفان . معجم البلدان ١ /١٩٨.

(٥) هم أحياء من القارة انضموا إلى بنى ليث فى محاربتهم قريشاً ، والتحبش : التجمع ، وقيل : حالفوا قريشاً تحت جبل يسمى حُبشياً فسموا بذلك . النهاية فى غريب الحديث ١ / ٣١٩ .

من المشركين، وإلا تركناهم محروبين[١] ، قال أبو بكر ﷺ : يا رسول الله ﷺ خرجت عامداً لهذا البيت، لا تريد قتل أحد ، ولا حرب أحد ، فتوجه له ، فمن صدنا عنه قاتلناه، قال : " امضوا على اسم الله " [٢] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : والمراد أنه ﷺ استشار أصحابه هل يخالف
الذين نصروا قريشاً إلى مواضعهم فيسبى أهلهم ، فإن جاءوا إلى نصرهم اشتغلوا بهم وانفرد هو وأصحابه بقريش [٣].

كأن الحدث يشير إلى شئ لابد من الوقوف عليه ، وهو أن لأهل الكفر من قريش أعواناً وأتباعاً ونصرة من غيرهم يقفون فى جوارهم ، وينصرونهم على أعدائهم ، وما دام الأمر كذلك فى أهل الكفر بعضهم مع بعض ، فإنك لن تعدم أن للحق أنصاراً ، وله رجال يرفعون رايته ، ويسددون ساعده ، فإذا بالصديق ﷺ يعلن وقوفه فى جوار الحق، ورده لمنازعة أهل الباطل ، إن مواجهة فمواجهة ، أو قتالاً فقتال ، كيف ولفظته تنص على القتل لأعداء النبى ﷺ إذا اقتضى الحال ذلك ؟

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : فأشار عليه أبو بكر الصديق ﷺ بترك القتال والاستمرار على ما خرج له من العمرة حتى يكون بدء القتال منهم فرجع إلى رأيه [٤].

إن هذه الصورة الإيمانية فى نصرة رسول الله ﷺ ، قبل مواجهة أعدائه لم تكن فريدة ، بل تعددت فى أكثر من موقف لا يرى فيه الصحب الكرام ﷺ إلا ثابتى الجنان، رابطى الجأش ، سنداً قوياً وسداً منيعاً فى جوار نبيهم ﷺ .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى ابن مسعود ﷺ يقول : شهدت من المقداد بن الأسود [١] مشهداً ؛ لأن أكون صاحبه أحب إلىَّ مما عدل به [٢] ، أتى النبى ﷺ

---

(١) أى: مسلوبين منهوبين ، الحرب بالتحريك : نهب مال الإنسان وتركه لا شئ له . النهاية فى غريب الحديث ١/٣٤٥ .

(٢) صحيح البخارى – كتاب : المغازى – باب : غزوة الحديبية ٣/١٢٧٢ رقم ٤١٧٨ – ٤١٧٩ ، مسند الإمام أحمد ٤ / ٣٢٨ – ٣٢٩ رقم ١٨٩٤٨ .

(٣) فتح البارى ٥/٣٩٣ رقم ٢٧٣١ – ٢٧٣٢ .

(٤) فتح البارى ٥/٣٩٣-٣٩٤ رقم ٢٧٣١- ٢٧٣٢.

وهو يدعو على المشركين ، فقال : لا نقول كما قال قوم موسى عليه السلام : اذهب أنت وربك فقاتلا ، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك ، فرأيت النبى ﷺ أشرق وجهه وسرّه ، يعنى قوله(٣).

ثبات فى ساحة القتال وحرص على دوامه على أى هيئة كان فى شتى المواطن وفى جميع الاتجاهات ، يظهره المقداد ﷺ ، ويتمنى لو بادر به ابن مسعود ﷺ إذاً لقدم ثماره اليانعة على كل غال يعدل به ، كيف وهو شئ يشرق له وجه رسول الله ﷺ ويسره ذلك ، وكأن الواقع أيضاً يلمح – بل ينص (٤) – على موافقة الصحب الكرام – مهاجرين وأنصاراً – لقول المقداد ﷺ ، بدليل التزامهم بذلك ، وعدم المعارض منهم له ، وكأن الجميع يداً واحدة فى الدفع عن رسول الله ﷺ ، والإعلان له بالنصرة .

وعند استلال السيوف ، وشق الصفوف ، ترى أصحاب رسول الله ﷺ فى النصرة لرسول الله ﷺ بمكان ، وتشهد من حاد الله عز وجل ورسوله ﷺعلى أيديهم فى مخبر عن الهوان .

---

(١) المقداد بن الأسود الكندى هو ابن عمرو بن ثعلبة البهراني ، وقيل : الحضرمى ، حالف الأسود بن عبد غوث فتبناه فصار يقال له : المقداد بن الأسود وغلبت عليه واشتهر بذلك ، فلما نزلت " ادعهم لآبائهم " قيل : المقداد بن عمرو واشتهرت شهرته بابن الأسود ، أسلم قديماً وتزوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ابنة عم النبى ﷺ وهاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد بعدها ، وكان فارساً يوم بدر ، اتفقوا على أنه مات سنة ثلاث وثلاثين فى خلافة عثمان ، قيل : وهو ابن سبعين سنة . الإصابة ٦ / ١٣٣ – ١٣٤ ترجمة ٨١٦٩ .

(٢) أى من كل شئ يقابل ذلك من الدنيويات ، وقيل من الثواب ، أو المراد الأعم من ذلك ، والمراد المبالغة فى عظمة ذلك المشهد ، وأنه كان لو خير بين أن يكون صاحبه وبين أن يحصل له ما يقابل ذلك كائناً ما كان لكان حصوله له أحب إليه – فتح البارى ٣٣٥/٧ رقم ٣٩٥٢ .

(٣) صحيح البخارى – كتاب : المغازى – باب : قول الله تعالى { إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم } ١٢٠٩/٣ رقم ٣٩٥٢ ، مسند الإمام أحمد ١ / ٣٨٩ – ٣٩٠ رقم ٣٦٩٨ .

(٤) أخرج الإمام أحمد فى مسنده من حديث عتبة بن عبد السلمى أن النبى ﷺ قال لأصحابه : " قوموا فقاتلوا " قالوا : نعم يا رسول الله ، ولا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام – انطلق أنت وربك فقاتلاً إنّا ههنا قاعدون ، ولكن انطلق أنت وربك يا محمد فقاتلا وإنا معكما نقاتل . المسند ٤٥٠/١٣ رقم ١٧٥٧٧ ، قال ابن حجر : إسناده حسن. فتح البارى ٣٣٦/٧ رقم ٣٩٥٢ ، وعزاه الهيثمى لأحمد والطبرانى وقال إسنادهما حسن – مجمع الزوائد ٧/ ١٤.

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى عبيد الله بن عدى ﷺ وإخبار وحشى ﷺ له عن قصة قتله حمزة ﷺ يوم أحد ، وفيه الشاهد لنا قوله " قال : فلما أن خرج الناس عام عينين – وعينين جبل بحيال أحد ، بينه وبينه واد – خرجت مع الناس إلى القتال ، فلما أن اصطفوا للقتال ، خرج سباع [١] فقال : هل من مبارز ؟ قال : فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب ﷺ فقال : يا سباع ، يا ابن أم أنمار مقطعة البظور[٢] ، أتحاد الله ورسوله ﷺ ؟ قال : ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب[٣] " [٤] .

إنها منقبة واضحة لحمزة بن عبد المطلب ﷺ إذ تراه فى تلك الغزوة يوم أحد يهد صفوف أعدائه ، ويفتك بهم فتكا ذريعاً ، لا لعداوة شخصية فى أمر من أمور الدنيا ، وإنما هى وقفة إيمانية فى وجه من حاد الله عز وجل ورسوله ﷺ ، وناصب هذا الدين وذاك النبى ﷺ الخاتم العداء ، فلابد أن يلقى هؤلاء حتفهم على يدى أسد الله عز وجل حمزة بن عبد المطلب ﷺ .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : وفى حديث وحشى من الفوائد غير ما تقدم .. مناقب كثيرة لحمزة ﷺ [٥] .

إذا تحقق لديك أيها القارئ الكريم مشهد الفضل لأصحاب رسول الله ﷺ ثباتاً عند اللقاء ، وسداداً عند المواجهة ، فلا تزال مشاهد الفضل أيضاً تظهر على أيديهم ﷺ دفعاً عن رسول الله ﷺ أن يصاب بسهم أو ينال بجراح ، إذ هم الفداء لسلامة رسول الله ﷺ أن يلحق به سوء.

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى أنس ﷺ قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى ﷺ وأبو طلحة بين يدى النبى ﷺ مجوب[٦] عليه بحجفة [٧] له وكان

---

(١) هو : ابن عبد العزى الخزاعى ثم الغبشانى . فتح البارى ٤٢٧/٧ رقم ٤٠٧٢.

(٢) البظر بفتح الباء ، الهنة التى تقطعها الخافضة من فرج المرأة عند الختان ، ودعاه بذلك ؛ لأن أمه كانت تختن النساء ، والعرب تطلق هذا اللفظ فى معرض الذم وإن لم تكن أمُ من يقال له خاتنـــة – النهاية فى غريب الحديث ١٣٧/١

(٣) هى كناية عن قتله أى صيره عدماً . فتح البارى ٤٢٧/٧ رقم ٤٠٧٢.

(٤) صحيح البخارى – كتاب : المغازى – باب : قتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ١٢٤٢/٣ رقم ٤٠٧٢ ، مسند الإمام أحمد ٣٠ / ٥٠١ رقم ١٦١٢ .

(٥) فتح البارى ٤٣٠/٧ رقم ٤٠٧٢ .

(٦) أى : مترس عليه بقية بها ، ويقال للترس أيضاً جوبة . النهاية فى غريب الحديث ٣٠٠/١ .

(٧) الحجفة : الترس . النهاية فى غريب الحديث ٣٣٣/١ .

أبو طلحة رجلاً رامياً شديد القدّ[١] يكسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً ، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل ، فيقول : " انثرها لأبى طلحة ﷺ ، فأشرف النبى ﷺ ينظر إلى القوم، فيقول أبو طلحة : يا نبى الله ، بأبى أنت وأمى لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم ، نحرى دون نحرك ، ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سليم – رضى الله عنهما – وإنهما لمشمرتان أرى خدم[٢] سوقهما، تنقذان القرب على متونهما ، تفرغانه فى أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملأنها ، ثم تجيآن فتفرغانه فى أفواه القوم ، ولقد وقع السيف من يدى أبى طلحة ، إما مرتين وإما ثلاثاً [٣] .

تأمل موقفه وقوله ﷺ لرسول الله ﷺ : فيقول أبو طلحة : بأبى أنت وأمى لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم ، نحرى دون نحرك " فإنه ينص على أن الآباء والأمهات والأنفس فداء عن رسول الله ﷺ أن يمس بأذى أو ينال بسوء ، يقول هذا باللسان ، وتظهر تطبيقه الأركان ،فها هو ثابت فى ساحة القتال، مجوب على رسول الله ﷺ بحجفة ، يصد عنه رمى السهام ، وقذف الرماح ، وضرب السيوف ، غير راهب من سداد فى أيدى الأعداء ، أو خائف من جعله فى عداد الأموات ، إذ كل ذلك هين فى عينه ، مادام رسول الله ﷺ معافاً فى بدنه ، سالماً فى أعضائه ، لم يتجاوز إليه سهم ، أو تلحق به جراحاً سهام .

يقول النووى رحمه الله تعالى : قوله " نحرى دون نحرك " هذا من مناقب أبى طلحة ﷺ الفاخرة [٤].

إن هذه الصورة الإيمانية من أبى طلحة ﷺ بذلاً لنفسه دفاعاً عن رسول الله ﷺ ، كان لها نظائرها لا بصورة فردية ، وإنما بصورة اجتماعية يبدو من خلالها تقديم الأنفس ، وبذل النفوس على أرقى صور الفداء لرسول الله ﷺ .

---

(١) شديد القد : إن روى بالكسر فيريد به وتر القوس ، وإن روى بالفتح فهو المد والنزع فى القوس. النهاية فى غريب الحديث ١٩/٤ .

(٢) جمع خدمة ، يعنى الخلخال ويجمع على خدام . النهاية فى غريب الحديث ١٥/٢ .

(٣) صحيح البخارى – كتاب : مناقب الأنصار – باب مناقب أبى طلحة رضى الله عنه ١١٦٦/٣ رقم ٣٨١١ ، صحيح مسلم – كتاب : الجهاد والسير – باب غزوة النساء مع الرجال ١٤٤٣/٣ – ١٤٤٤ رقم ١٣٦ .

(٤) شرح النووى على صحيح مسلم ٤٢٩/٦ .

أخرج مسلم فى صحيحه بإسناده إلى أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ : أفرد يوم أحد فى سبعة من الأنصار ورجلين من قريش [١] فلما رهقوه [٢] قال : " من يردهم عنا وله الجنة ، أو هو رفيقى فى الجنة ؟ " فتقدم رجل من الأنصار ، فقاتل حتى قتل ، ثم رهقوه أيضاً فقال: " من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقى فى الجنة ؟ " فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه [٣] " ما أنصفنا أصحابنا [٤]"[٥].

أرأيت أصحاب رسول الله ﷺ يسارعون الخطى للقتل – لا للقتال – دفاعاً عن رسول الله ﷺ، إذ الأحداث أمامهم تشير إلى ترجيح قتلهم على غلبتهم لعدوهم ، ومع هذا يسيرون فى خطاً يحدوها الإيمان إلى ذلك ، نصرة لنبيهم ﷺ، وحرصاً على رد كيد أعدائه عنه ﷺ، وإياك أن تتوهم أن الترغيب بالجنة أو بمرافقته ﷺفيها ، إذا وضع فى صورة من المطالب الدنيوية هو الدافع لهم ؛ لأنهم يقدمون الدين على الدنيا ، إذ ترغيب النبى ﷺ لهم بذلك يدل على حسن تصديقهم له ﷺ ويقينهم أن ما يخبر به محقق ، وهذا التصديق فى ذاته يعد أصلاً ثاباً فى نصرة رسول الله ﷺ ، فإذا أثمر التصديق بإخباره ﷺ بذلاً للأنفس فحيهلا فداء لرسول الله ﷺ، وحيهلا بالثمار اليانعة تبعاً لهذا البذل وذاك الفداء .

نصرة النبى ﷺ فى غير ساحة القتال وله علاقة بذلك :

أحسن أصحاب رسول الله ﷺ الدفع عن نبيهم ﷺ فى شتى المواطن، وفى مختلف البقاع، بحيث كانوا فى الحرص على سلامته وأمنه ﷺ بمكان، كيف لا وهو عندهم أحب من الأهل والمال والولد؟!

---

(١) هكذا مبهماً ولم أقف على تعيينهم فى قول أحد من أهل العلم .

(٢) يقال : رهقه بالكسر يرهقه رهقاً : أى غشية . النهاية فى غريب الحديث ٢٥٦/٢ .

(٣) القرشيان فى الرواية .

(٤) الرواية المشهورة فيه " ما أنصفنا " بإسكان الفاء " أصحابنا " منصوب مفعول به هكذا ضبطه جماهير العلماء من المتقدمين والمتأخرين ومعناه : ما أنصفت قريش الأنصار ، لكون القرشيين لم يخرجا للقتال ، بل خرجت الأنصار واحداً بعد الواحد ، وذكر بعضهم " أنصفنا " بفتح الفاء والمراد على هذا : الذين فروا من القتال فإنهم لم ينصفوا لفرارهم . شرح النووى على صحيح مسلم ٣٩٠/٦ .

(٥) صحيح مسلم – كتاب : الجهاد والسير – باب : غزوة أحد ١٤١٥/٣ رقم ١٠٠ ، مسند الإمام أحمد ٣ / ٢٨٦ رقم ١٤٠٨٨ .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى أبى بكر ﷺ قال : كنت مع النبى ﷺ فى الغار فرفعت رأسى فإذا أنا بأقدام القوم ، فقلت : يا نبى الله ، لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا قال : اسكت يا أبا بكر اثنان الله ثالثهما [١] » [٢].

حرصاً على سلامة النبى ﷺ ، وطلباً لدوام أمنه ﷺ ، يخاف الصديق أبو بكر أن يبصر به أحد من أهل الكفر أيام الغار ، لكن النبى ﷺ يطمئن الصديق ﷺ بأنهما فى معية الله عز وجل ، فلا خوف ولا رهبة بل الأمن والأمان سبيلهما .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : وفى الحديث منقبة ظاهرة لأبى بكر- رضى الله عنه-[٣] وقال الإمام النووى رحمه الله تعالى : فيه فضيلة لأبى بكر ﷺ وهى من أجل مناقبه ، والفضيلة من أوجه منها : هذا اللفظ ، ومنها : بذله نفسه ، ومفارقته أهله وماله ورياسته فى طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ ، وملازمة النبى ﷺ ومعادة الناس فيه ، ومنها : جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك [٤] .

النبى ﷺ وحفظه أن يقصد بأذى أو يراد بسوء فى قلوب أصحابه الكرام- رضى الله عنهم- وعقولهم، لا يغيب هذا الشأن عن بالهم، ولا يغفل حفظه ﷺ عن خواطرهم.

أخرج مسلم فى صحيحه بإسناده إلى عائشة - رضى الله عنها - قالت: سهر رسول الله ﷺ مقدمه المدينة ليلة ، فقالت : " ليت رجلاً صالحاً من أصحابى يحرسنى الليلة [٥] ، قالت : " فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة [٦] سلاح ، فقال : " من هذا ؟ " ،

---

(١) معناه : ثالثها بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد - شرح النووى على صحيح مسلم ١٦٦/٨.

(٢) صحيح البخارى - كتاب : مناقب الأنصار - باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة ١١٩٩/٣-١٢٠٠ رقم ٣٩٢٢ ، صحيح مسلم - كتاب : فضائل الصحابة-باب من فضائل أبى بكر رضى الله عنه ١٨٥٤/٤ رقم ١.

(٣) فتح البارى ١٥/٧رقم ٣٦٥٣.

(٤) شرح النووى على صحيح مسلم ١٦٦/٨-١٦٧ .

(٥) قال العلماء : وكان هذا الحديث قبل نزول قوله تعالى { والله يعصمك من الناس } ؛ لأنه ﷺ ترك الاحتراس حين نزلت هذه الآية ، وأمر أصحابه بالانصراف عن حراسته ، وقد صرح فى الرواية الثانية بأن هذا الحديث الأول كان فى أول قدومه المدينة ، ومعلوم أن الآية نزلت بعد ذلك بزمان . شرح النووى على صحيح مسلم ٨ /٢٠٠.

(٦) الخشخشة : حركة لها صوت كصوت السلاح . النهاية فى غريب الحديث ٣٢/٢ .

قال : سعد بن أبى وقاص فقال له رسول الله ﷺ :ما جاء بك؟ ، قال : وقع فى نفسى خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام [١] .

دون أن يدعى سعد ﷺ إلى حراسة ، أو يرسل إليه ليمنع عن رسول الله ﷺ إذا به ﷺ يحرص على ذلك ، ويهرع إليه حتى كأن الله عز وجل يريد به الكرامة بالنص على صلاحه صراحة من قبل النبى ﷺ : " ليت رجلاً صالحاً من أصحابى يحرسنى الليلة " ، فكان حسن التصرف منه مثمراً طيب الثمار له .

إن عمل الصحب الكرام ﷺ دفعاً عن رسول الله ﷺ من أراده بسوء ، أو قصد إليه بأذى لا ينقطع ، مهما اختلفت البقاع وتعددت المواقف ، فهم لا يزالون حماة مدافعين عن عظيم شخصه وقدره ﷺ.

أخرج مسلم فى صحيحه بإسناده إلى جابر ﷺ قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرقاع [٢] ، قال : كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ ، قال : فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلق بشجرة ، فأخذ سيف نبى الله ﷺ فاخترطه ، فقال لرسول الله ﷺ : أتخافنى ؟ قال : " لا " قال : فمن يمنعك منى؟ قال: " الله يمنعنى منك "، قال: فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ فأغمد السيف وعلقه، قال: فنودى بالصلاة فصلى بطائفة ركعتين ، ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين ، قال : فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات وللقوم ركعتان " [٣] .

موقفان جليلان من النبى ﷺ وأصحابه الكرام ﷺ إذ النبى فى صورة من الثبات والإيقان بمنعة الله عز وجل لها قدرها ، وأصحابه الكرام يحرصون على الدفع عنه ﷺ بتهددهم لمن أراد أذاه ﷺ حتى يثمر تهديدهم ، وحسن موقفهم أن يغمد العدو السيف " فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ فأغمد السيف وعلقه "على هذه الصورة الإيمانية وقوفهم-رضى الله عنهم- فى جوار النبى ﷺ ، يعرف هذا عنهم القاصى والدانى .

---

(١) صحيح مسلم – كتاب : فضائل الصحابة – باب فى فضل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ١٨٧٥/٤ رقم ٤٠ ، صحيح البخارى – كتاب : الجهاد والسير – باب الحراسة فى الغزو فى سبيل الله ٨٩٠/٢ رقم ٢٨٨٥.

(٢) الرقاع : بكسر أوله وآخره عين مهملة ، جمع رقعة ، وهو ذو الرقاع ، غزاه النبى ﷺ ، قيل : هى اسم شجرة فى موضع الغزوة سميت بها ، وقيل ؛ لأن أقدامهم نقبت من المشى فلفوا عليها الخرق، وقيل: ذات الرقاع جبل فيه سواد وبياض وحمرة فكأنها رقاع فى الجبل. معجم البلدان٥٦/٣.

(٣) صحيح مسلم – كتاب : صلاة المسافرين وقصرها – باب صلاة الخوف ٥٧٦/١ رقم ٣١١ ، صحيح البخارى – كتاب : المغازى – باب غزوة ذات الرقاع ١٢٥٩/٣ رقم ٤١٣٦ .

لن يذهب فضل الأصحاب ﷺ فى هذا الموقف سدىً إن اعتمد قول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بياناً لسبب إغماد العدو للسيف – إذ يقول رحمه الله تعالى : " فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ " وظاهرها يشعر بأنهم حضروا القصة وأنه إنما رجع عما كان عزم عليه بالتهديد ، وليس كذلك بل وقع فى رواية إبراهيم بن سعد فى الجهاد بعد قولها ، قلت : الله " فشام السيف " [١] ، وفى رواية معمر" فشامه " [٢] والمراد أغمده ، وهذا الكلمة من الأضداد ، يقال شامه : إذا استله وشامه إذا أعمده ، قال الخطابى وغيره : وكأن الأعرابى لما شاهد ذلك الثبات العظيم ، وعرف أنه حيل بينه وبين تحقق صدقه ، وعلم أنه لا يصل إليه فألقى السيف وأمكن من نفسه [٣] – إذ ثباتهم فى جوار النبى ﷺ وحرصهم على الدفع عنه هو الفضل عينه ، أثمر ذلك رهبة العدو منهم ، أم رهبته من رسول الله ﷺ ، فأصل الفضيلة ردهم العداء عن رسول الله ﷺ .

من أرجى الأعمال التى يرجوا الصحب الكرام ﷺ فعلها ، معاداة من عادى رسول الله ﷺ ، والقيام فى وجهه قتالاً وقتلاً ، إذ لا ينبغى أن تبقى فيهم عين تطرف وأعداء رسول الله ﷺ فى سلم وأمان .

أخرج مسلم فى صحيحه بإسناده إلى عائشة – رضى الله عنها – : أن سعداً قال وتحجر كلمه [٤] للبرء ، فقال: اللهم إنك تعلم أن ليس أحد أحب إلىَّ أن أجاهد فيك ، من قوم كذبوا رسولك ﷺ وأخرجوه ، اللهم فإن كان بقى من حرب قريش شئ فأبقنى أجاهدهم فيك ، اللهم فإنى أظن [٥] أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فإن كنت

---

(١) صحيح البخارى – كتاب : الجهاد والسير – باب تفرق الناس عن الإمام عند القائلة والاستظلال بالشجر ٨٩٨/٢ رقم ٢٩١٣ .

(٢) صحيح البخارى– كتاب: المغازى– باب غزوة بنى المصطلق من خزاعة ١٢٦٠/٣ رقم ٤١٣٩.

(٣) فتح البارى ٤٩٢/٧ رقم ٤١٣٦ .

(٤) أصل الكلم : الجرح . النهاية فى غريب الحديث ١٧٣/٤ .

(٥) قال بعض الشراح : ولم يصب فى هذا الظن لما وقع من الحروب فى الغزوات بعد ذلك قال : فيحمل على أنه دعا بذلك فلم تقع الإجابة ، وأدخر له ما هو أفضل من ذلك كما ثبت فى الحديث الآخر فى دعاء المؤمن ، أو أن سعداً أراد بوضع الحرب أى فى تلك الغزوة خاصة لا فيما بعدها ، وذكر ابن التين عن الداودى أن الضمير لقريظة ، قال ابن التين : وهو بعيد جداً لنصه على قريش ، والذى يظهر لى أن ظن سعد كان مصيباً ، وأن دعاءه فى هذه القصة كان مجاباً ؛ وذلك أنه لم يقع بين المسلمين وبين قريش من بعد وقعة الخندق حرب حتى يكون ابتداء القصد فيها من المشركين فإنه ﷺ تجهز إلى العمرة فصدوه عن دخول مكة وكاد الحرب أن يقع بينهم فلم يقع ثم وقعت الهدنة واعتمر ﷺ من قابل ، واستمر ذلك إلى أن نقضوا العهد فتوجه إليهم غازياً ففتحت مكة ، فعلى هذا فالمراد بقوله " أظن أنك وضعت الحرب " أى أن يقصدونا محاربين .
فتح البارى ٤٧٨/٧ – ٤٧٩ رقم ٤١٢٢ بتصرف يسير .

وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها ، واجعل موتى فيها فانفجرت من لبته [١] ، فلم يرعهم (وفى المسجد معه خيمة من بنى غفار) إلا والدم يسيل إليهم فقالوا : يا أهل الخيمة ، ما هذا الذى يأتينا من قبلكم فإذا جرحه يغذ[٢]دماً ، فمات منها [٣] .

حياة إيمانية تلك التى يريد عيشها سعد بن معاذ ﷺ ، يدافع فيها عن رسول الله ﷺ ويجاهد أعداءه الذين كذبوه وأخرجوه ، هذا أرجى ما يطلب إذا سلم منه الجسد ، وطال به الأمد ، وإلا يكن فى الأمر قتال ، فما قدمه من قصد حسن فى الدفع عن رسول الله ﷺ حتى أصيب إصابته ، تلك فمطلبه من ربه عز وجل أن تكون تلك الجراحة التى أصيبها فى الله عز وجل ولله سبحانه ، طريقه إلى الشهادة ، حتى يحسن لقاؤه بربه سبحانه ، وبرهانه فى الدفاع عن رسول الله ﷺ ظاهر بين يديه .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: وفى قصة بنى قريظة من الفوائد وخبر سعد بن معاذ ﷺ جواز تمنى الشهادة، وهو مخصوص من عموم النهى عن تمنى الموت [٤] .

فى هذا التمنى منه ﷺ دليل على تصديقه لرسول الله ﷺ، ومن مقتضيات التصديق أن يتابع المنهج الذى جاء به من صدقه ، ولذا نراه ﷺ يحرص على الفضيلتين اللتين أخبر بهما الصادق ﷺ ، جهاد فى سبيل الله عز وجل حتى النصر ، أو ثبات فى وجه أعداء الإسلام وأهله حتى الشهادة ، وهذا ما تحقق فى شخص سعد ﷺ ، فقد أحسن البلاء فى معاداة أعداء النبىﷺحتى أكرم بالشهادة فى سبيل رفع راية الإسلام ، والدفاع عن الداعى إليه ﷺ .

إن مطلب فضيلة الشهادة – دفاعاً عن الإسلام ونبيه ﷺ – لن يتوقف فى مجتمع الصحب الكرام ﷺ ، بل لهم فى ذلك أجل النماذج ، وأرقى صور التضحية والفداء .

---

(١) هى موضع القلادة فى الصدر ، وكان موضع الجرح ورم حتى اتصل الورم إلى صدره فانفجر من ثم . فتح البارى ٤٧٩/٧ – رقم ٤١٢٢.

(٢) جرحه يغذ : أى يسيل ، يقال : غذ العرق يغذ غذاً إذا سال ما فيه من الدم ولم ينقطع . النهاية فى غريب الحديث ٣١٢/٣ .

(٣) صحيح مسلم – كتاب : الجهاد والسير – باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم ١٣٩٠/٣رقم ٦٧، صحيح البخارى – كتاب : المغازى – باب مرجع النبى ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بنى قريظة ١٢٥٦/٣ رقم ٤١٢٣ .

(٤) فتح البارى ٤٨٠/٧ رقم ٤١٢٢ .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى أنس ﷺ: أن عمه [١] غاب عن بدر فقال: غبت عن أول قتال النبى ﷺ، لئن أشهدنى الله مع النبى ﷺ ليرين الله ما أجدُ ، فلقى يوم أحد ، فهزم الناس ، فقال : اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، يعنى المسلمين، وأبرأ إليك مما جاء به المشركون ، فتقدم بسيفه فلقى سعد بن معاذ ﷺ فقال: أين يا سعد ؟ إنى أجد ريح الجنة دون أحد ، فمضى فقتل ، فما عرف حتى عرفته أخته بشامة أو ببنانه، وبه بضع وثمانون ؛ من طعنة وضربة ورمية بسهم"[٢].

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: فى قصة أنس بن النضر ﷺ من الفوائد، جواز بذل النفس فى الجهاد ، وفضل الوفاء بالعهد ولو شق على النفس حتى يصل إلى إهلاكها ، وأن طلب الشهادة فى الجهاد لا يتناوله النهى عن الإلقاء إلى التهلكة ، وفيه فضيلة ظاهرة لأنس بن النضر ﷺ وما كان عليه من صحة الإيمان وكثرة التوقى والتورع وقوة اليقين ، قال الزين بن المنير : من أبلغ الكلام وأفصحه قول أنس بن النضر ﷺ فى حق المسلمين " أعتذر إليك " وفى حق المشركين " أبرأ إليك " فأشار إلى أنه لم يرض الأمرين جميعاً مع تغايرهما فى المعنى [٣] .

ألفاظ تكتب بماء الذهب خطها الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ، فى حق أنس بن النضر ﷺ ، يعدد من خلالها صور الفضل ، وبراهين البذل والتضحية من هذا الصحابى الجليل تجاه دينه ونبيه ﷺ إذ شاء القدر غيبته عن أول قتال بين النبى ﷺ وأعدائه من أهل الكفر ، فإذا به يتأسى على فوات ذلك ، ويألم له ألماً شديداً – مع تحقق عذره وإخوانه الذين لم يشهدوا غزوة بدر إذ لم يكن ثمت قتال فى ظن من لم يشهد – ويشهد الله عز وجل حسن البلاء إن قدرّ له مشهداً آخر مع رسول الله ﷺ ، ولم يطل الوقت لذلك ، فإذا بغزوة أحد والتى قصد أهل الكفر رسول الله ﷺ بالقضاء عليه وعلى دعوته ، ثأراً وانتقاماً لسوء مصابهم يوم بدر ، وهنا يعلن أنس بن النضر

---

(١) هو : أنس بن النضر بن ضمضم الأنصارى الخزرجى عم أنس بن مالك خادم النبى ﷺ . الإصابة ١ / ٧٤ – ٧٥ ترجمة ٢٨١ .

(٢) صحيح البخارى – كتاب : المغازى – باب : غزوة أحد ٣/١٢٣٦ رقم ٤٠٤٩ ، صحيح مسلم – كتاب : الإمارة – باب : ثبوت الجنة للشهيد ٣ / ١٥١٢ رقم ١٤٨ ، سنن الترمذى – كتاب : تفسير القرآن – باب : ومن سورة الأحزاب ٥ / ٣٤٩ – ٣٥٠ رقم ٣٢٠١ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) فتح البارى ٦/٢٩ رقم ٢٨٠٥.

ﷺ الثبات عند التقاء الصفوف ، ورغبته فى الجنة دفعاً عن رسول الله ﷺ أكثر من رغبته فى الحياة ، كيف وعهد الثبات مع الله عز وجل منه قريب ؟

تحقق له ﷺ ما قصد إليه من حسن البلاء وعظيم التضحية ، حتى كانت الشهادة التى يرجوها ، على صورة من الثبات ، – وتلقى كثرة الجراحات – نادرة ، حتى أنه ما عرف إلا من قبل أخته ببنانه ؛ لكثرة ما أصابه من سيوف أهل الكفر ورماحهم وسهامهم ؛ ليعطى المثل الأظهر فى حسن الدفاع عن نبى الإسلام ﷺ وعن الدين الإسلامى الحنيف الذى سلم له بالانقياد .

المبحث الثالث
دفع الأصحاب ﷺ عن النبى ﷺ سيئ الأعراض

تمهيد :

إن الأعراض التى قد تطرأ على المرء فى بعض الأوقات كثيرة ، فمنها مظاهر الغضب ، ومنها مظاهر التألم أو التأذى ، ومنها ما يوهم الانتقاص لقدر من طرأت عليه ... إلى غير ذلك ، فإذا أحدث الواقع شيئاً من ذلك على شخص رسول الله ﷺ ، فارفع لواء النصرة والتفريج عنه ﷺ بأيدى أصحابه الكرام ﷺ .

لقد أجاد أصحاب رسول الله ﷺ فى أخلاقيات التفريج عن نبيهم ﷺ ، فهمه بهم مرتفع ، وتأذيه على أيديهم منقطع ، وما يوهم الانتقاص من علو منزلته ﷺ ، يحال بحسن قولهم وجميل فعلهم إلى الرفعة ومخبر الكمال .

تعددت أمثلة الفضل فى هذا الموطن من أصحاب رسول الله ﷺ ، بحيث بدت منهم المسارعة فى نصرته ﷺ بإزالة الهم عنه ، وتفريج ما طرأ عليه من غم ، ولو كان ذلك على حساب أقرب الناس إليهم ، معلنين أن رسول الله ﷺ حقيقة ، هو أقرب إلى قلوبهم من الأصول والفروع فى النسب ، فلا قرب يدانى قربه ﷺ منهم ، ولا قريب يراقب بالدفع عنه – على أتم مظاهر الفضل فى ذلك – دونه ﷺ .

فى بعض الأحيان قد يعرض للنبى ﷺ – لكونه بشراً يعرض له ما يعرض للبشر – بعض أعراض الغضب أو الحزن أو الألم أو التأذى من بعض الأشياء ، فإذا بصحبة الكرام يحرصون على دفع مثل تلك العوارض المؤلمة عن شخصه الكريم ﷺ ، كما أنه فى أحيان أخرى قد يعرض له ﷺ ما ينافى أخلاقيات الهيبة ، أو ما يدفع إلى القدح بالانتقاص ، فإذا بالصحب الكرام ﷺ ، يحرصون أيضاً على إظهار علو قدره ﷺ وارتفاع شأنه من الكمال الأخلاقى ، وإليك بعض النماذج لذلك :

أ- أعراض الغضب ودفع الأصحاب ﷺ لها عن النبى ﷺ:

يأتى فى مقدمة الأصحاب ﷺ تخلقاً بتلك الفضيلة صاحبه الصديق أبو بكر ﷺ فتراه ﷺ فى أتم صور الحرص على د فع ما يغضب النبى ﷺ ، أو ما يعكر عليه صفو إشراق الوجه ودوام السرور .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى أبى الدرداء ﷺ قال : كنت جالساً عند النبى ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه ، حتى أبدى عن ركبته ، فقال النبى ﷺ : " أما صاحبكم فقد غامر" [١]، فسلم وقال : إنى كان بينى وبين ابن الخطاب شئ ، فأسرعت إليه ثم ندمت ، فسألته أن يغفر لى فأبى علىَّ ، فأقبلت إليك ، فقال : " يغفر الله لك يا أبا بكر " ثلاثاً ، ثم إن عمراً ندم فأتى منزل أبى بكر ﷺ فسأل : أثم أبو بكر ؟ فقالوا : لا ، فأتى إلى النبى ﷺ فسلم ، فجعل وجه النبى ﷺ يتمعر[٢]، حتى أشفق أبو بكر ﷺ فجثا على ركبتيه فقال : يا رسول الله ، والله أنا كنت أظلم مرتين ، فقال النبى ﷺ : " إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر : صدق ، وواسانى بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لى صاحبى مرتين ، فما أوذى بعدها [٣] .

موقف بشرى تكسوه أخلاقيات هذا الدين الحنيف ، إذ يحدث شئ بين الصديق ﷺ وعمر ﷺ ، لأى سبب من الأسباب ، أو دافع من الدوافع ، فيسرع الصديق فى حق عمر ﷺ ، لكن أخلاقيات الإيمان تكون أسرع فى شأنه { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ }[٤] فيعاجل بطلب الصفح والمغفرة من عمر ﷺ ، لكن عمر ﷺ يأبى عليه ذلك ، قرباً لحدث الخلاف و تأثراً بصورة المسارعة ، لكن الأمر لم يدم طويلاً ، بل الندم فى حق عمر-رضى الله عنه – فى عدم عفوه وصفحه للصديق ﷺ موقفه ، فإذا به يسارع بحثاً عن الصديق ﷺ ؛ كى يرضيه فى طلبه ، ويبلغه مقصده ، بل لعله يعتذر له عن عدم عفوه عنه ابتداءً .

---

(١) أى: خاصم غيره، ومعناه دخل فى غمرة الخصومة، وهى معظمها. النهاية فى غريب الحديث٣/٣٤٥.

(٢) أى : يتغير ، وأصله قلة النضارة وعدم إشراق اللون ، من قولهم : مكان أمعر وهو الجدب الذى لا خصب فيه . النهاية فى غريب الحديث ٤/٢٩١ .

(٣) صحيح البخارى – كتاب : فضائل أصحاب النبى ﷺ – باب قول النبى ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً ٣/١١٢٦-١١٢٧ رقم ٣٦٦١.

(٤) سورة الأعراف الآية رقم ٢٠١ .

لا يزال الصديق ﷺ يطلب رضا عمر ﷺ وصفحه ، ويحرص على دوام أرقى الأخلاقيات الإيمانية فيما بينه وبين عمر ﷺ ، ولذا يذهب إلى النبى ﷺ قاصاً الحدث بين يدى رسول الله ﷺ ، ولم يلبث الأمر إلا يسيراً ، حتى أقبل عمر ﷺ باحثاً عن الصديق ﷺ ، يحقق له مطلبه ، و يجلى بين يديه ما ندم على عدم القيام به أولاً ، لكن المواجهة تأتى على غير المرجو من قبل النبى ﷺ ، فإذا بوجه النبى ﷺ يتغير مغضباً، إذ كيف لا يتجاوز للصديق ﷺ عن أمر بدر منه طلب الاعتذار عنه ، وقد أحسن البلاء – ولا يزال – منذ اللحظة الأولى فى الدعوة لهذا الدين ؟ وهنا يتدخل الصديق ﷺ دافعاً عن رسول الله ﷺ ما أغضبه ، معلناً أنه المسارع فى حق عمر ﷺ مقسماً بالله عز وجل على ذلك، حريصاً على رفع تلك الصورة من العناء التى بدت على وجهه ﷺ.

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : وفى الحديث من الفوائد : فضل أبو بكر ﷺ على جميع الصحابة ، وأن الفاضل لا ينبغى له أن يغاضب من هو أفضل منه ، وفيه جواز مدح المرء فى وجهه ، ومحله إذا أمن عليه الافتتان والاغترار ، وفيه ما طبع عليه الإنسان من البشرية حتى يحمله الغضب على ارتكاب خلاف الأولى ، لكن الفاضل فى الدين يسرع بالرجوع إلى الأولى ، وفيه أن غير النبى ﷺ ولو بلغ من الفضل الغاية ليس بمعصوم ، وفيه استحباب سؤال الاستغفار والتحلل من المظلوم [1].

تلك الصورة الإيمانية من قبل الصديق ﷺ فى الحرص على دفع الغضب عن رسول الله ﷺ لا تزال تأتى ثمارها ، وتظهر طيب عطائها .

أخرج مسلم فى صحيحه بإسناده إلى أنس ﷺ قال : كان للنبى ﷺ تسع نسوة ، فكان إذا قسم بينهن لا ينتهى إلى المرأة الأولى إلا فى تسع ، فكن يجتمعن كل ليلة فى بيت التى يأتيها ، فكان فى بيت عائشة ﷺ ا– فجاءت زينب – رضى الله عنها – فمد يده إليها فقالت : هذه زينب ، فكف النبى ﷺ يده ، فتقاولتا حتى استحثتا [2]، وأقيمت الصلاة فمر أبو بكر ﷺ على ذلك فسمع أصواتهما فقال : اخرج يا رسول الله إلى الصلاة وأحث فى أفواههن التراب ، فخرج النبى ﷺ فقالت عائشة – رضى الله عنها :

---

(١) فتح البارى ٧/٣١-٣٢ رقم ٣٦٦١.

(٢) هو استفعل من الحثى ، والمراد أن كل واحدة منهما رمت فى صاحبتها التراب . النهاية فى غريب الحديث ١/٣٢٧ – ٣٢٨ .

الآن يقضى النبى ﷺ صلاته فيجئ أبو بكر فيفعل بى ويفعل ، فلما قضى النبى ﷺ صلاته أتاها أبو بكر ، فقال لها قولاً شديداً وقال : أتصنعين هذا [١] ؟

الغيرة طبع من الطبائع لاسيما عند النساء ، وما حدث بين السيدة عائشة- رضى الله عنها- والسيدة زينب – رضى الله عنها – كما تظهره الرواية " فجاءت زينب ﷺ فمد يده إليها فقالت : هذه زينب – رضى الله عنها – فكف النبى ﷺ ، فتقاولتا " – لا يخرج عن ذلك ، لكنه وقع فى وقت أقيمت فيه الصلاة ، وأمرها أهم عند رسول الله ﷺ وعند أصحابه الكرام من الشغل برفع تلك الصورة من الغيرة بين زوجتى النبى ﷺ ، فإذا بالصديق ﷺ يقف موقفاً إيمانياً يشير فيه إلى هذه المصلحة الظاهرة ، كما أن الأمر إن اتسع فى ذاته قد يغضب رسول الله ﷺ ، فإذا بموقف الصديق ﷺ يقطع طريق الغضب إلى رسول الله ﷺ ، فهما فضيلتان منه ﷺ يقوم بهما فى جوار النبى ﷺ ونصرة له .

يقول الإمام النووى رحمه الله تعالى : فيه فضيلة لأبى بكر ﷺ وشفقته ونظره فى المصالح ، وفيه : إشارة المفضول على صاحبه الفاضل بمصلحته [٢].

لم يكن الصديق ﷺ منفرداً فى الحرص عن دفع عارض الغضب عن النبى ﷺ وإنما شاركه غيره من الصحب الكرام ﷺ ، ويأتى عمر بن الخطاب ﷺ فى مقدمة الصحب الكرام حرصاً على ذلك .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى ابن عباس ﷺ وفيه " ثم قال عمر ﷺ : " والله إن كنا فى الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم ، قال : فبينا أنا فى أمر أتأمره إذ قالت امرأتى : لو صنعت كذا وكذا ،قال: فقلت لها : مالك ولما هاهنا ، فيما تكلفك فى أمر أريده ؟ فقالت لى : عجباً لك يا ابن الخطاب ، ما تريد أن تراجع أنت ، وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان ، فقام عمر ﷺ فأخذ رداءه مكانه حتى دخل على حفصة – رضى الله عنها – فقال لها : يا بنية إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان ؟ فقالت حفصة

---

(١) صحيح مسلم – كتاب : الرضاع – باب القسم بين الزوجات وبيان أن السنة أن تكون لكل واحدة ليلة مع يومها ١٠٨٤/٢ رقم ٤٦ .

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ٣٠٤/٥.

- رضى الله عنها -: والله إنا لنراجعه ، فقلت : تعلمين أنى أحذرك عقوبة الله ، وغضب رسوله ﷺ " (١) .

فى حرص واضح على رفع عارض الغضب عنه ﷺ ، يظهر هذا الموقف من قبل عمر بن الخطاب ﷺ ، ولو كان الغضب ثمرة لأمر أقره الدين -المراجعة من المرأة لزوجها - لكن ما أباحه التشريع إذا كان - لاسيما عند كثرة صور المراجعة - يدفع إلى إغضاب رسول الله ﷺ ، فلابد أن يدفع بشتى الوسائل ؛ لأنه ﷺ يعرف الخطر الشديد فى إحداث ما يغضبه ﷺ ، فلذا يحرص على دفع أسباب ذلك .

لعل الرواية الأخرى تظهر العلة فى خوف عمر ﷺ الشديد أن يغضب رسول الله ﷺ ؛ لربطه بين غضب رسول الله ﷺ ، وغضب الله عز وجل لغضبه ﷺ ، فعند البخارى فى صحيحه بإسناده إلى ابن عباس - رضى الله عنهما - : وفيه " فقلت : أتغاضب إحداكن رسول الله ﷺ اليوم حتى الليل ؟ فقالت : نعم ، فقلت : خابت وخسرت ، أفتأمن أن يغضب الله لغضب رسوله ﷺ فتهلكين ، لا تستكثرى على رسول الله ﷺ ولا تراجعيه فى شئ ولا تهجريه ، واسألينى ما بدا لك " (٢) .

إلى هذا المعنى الراقى ارتفع عمر بن الخطاب ﷺ إذ ما يغضب رسول الله ﷺ لاشك أنه يغضب الله عز وجل ، فيكون الهلاك البين ، وكأن هذه الرواية توضح ما قد يتوهم أن نساء ﷺ كن يقصدن إغضابه ﷺ ، وهذا مرتفع عنهن- رضى الله عنهن - بقوله : " أتغاضب إحداكن رسول الله ﷺ " ، وفرق شاسع بين لفظة " أتغاضب " وبين لفظة " أتغضب " ، إذ معنى الأولى تفعل أمراً قد يؤدى إلى غضبه ﷺ ، لا أنها تقصد إغضابه ﷺ كما تفهمه اللفظة الأخرى ، وكأن الصحب الكرام إضافة إلى زوجات النبى ﷺ ، الجميع حريص على عدم قصده ﷺ بإدخال الغضب عليه .

إذا كان عمر بن الخطاب ﷺ حريصاً على دفع أسباب الغضب عن النبى ﷺ فالأولى حرصه على دفع الغضب ذاته عند تحقق وقوعه .

---

(١) صحيح البخارى - كتاب : التفسير - باب " تبتغى مرضات أزواجك " ٣/١٥٦٧رقم ٤٩١٣ ، صحيح مسلم - كتاب : الطلاق - باب فى الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن ٢/١١٠٨-١١٠٩ رقم ٣١ .

(٢) صحيح البخارى - كتاب : المظالم - باب الغرفة والعلية المشرفة فى السطوح وغيرها ٢/٧٤٠ رقم ٢٤٦٨ .

أخرج مسلم فى صحيحه بإسناده إلى أبى قتادة ﷺ : رجل [١] أتى النبى ﷺ فقال : كيف تصوم ؟ فغضب رسول الله ﷺ، فلما رأى عمر ﷺ غضبه قال : رضينا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ، نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ﷺ ، فجعل عمر ﷺ يردد هذا الكلام حتى سكن غضبه ، فقال عمر : يا رسول الله كيف بمن يصوم الدهر كله ؟ قال : لا صام ولا أفطر أو قال : لم يصم ولم يفطر " ، قال : كيف من يصوم يومين ويفطر يوماً ؟ قال : " ويطيق ذلك أحد ؟ " قال : كيف من يصوم يوماً ويفطر يوماً ؟ قال : " ذاك صوم داود (عليه السلام) " ، قال : كيف من يصوم يوماً ويفطر يومين ؟ قال : وددت أنى طوقت ذلك ، ثم قال رسول الله ﷺ : ثلاث من كل شهر ورمضان إلى رمضان فهذا صيام الدهر كله ، صيام يوم عرفة ، أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله ، والسنة التى بعده ، وصيام يوم عاشوراء ، أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله [٢].

واضح التكلف فى السؤال من ذلك الرجل ﷺ " رجل أتى النبى ﷺ فقال : كيف تصوم ؟ " إذ الجواب منه ﷺ بأى صورة تقع ، فيه ما فيه من المشقة على الأمة الإسلامية جميعاً ؛ ولذا غضب النبى ﷺ من ذاك السؤال الموقع فى هذه المشقة والعنت بأمته .

يقول الإمام النووى رحمه الله تعالى : قال العلماء : سبب غضبه ﷺ أنه كره مسألته ؛ لأنه يحتاج إلى أن يجيبه ويخشى من جوابه مفسدة ، وهى أنه ربما اعتقد السائل وجوبه أو استقله أو اقتصر عليه ، وكان يقتضى حالة أكثر منه ، وإنما اقتصر عليه ﷺ لشغله بمصالح المسلمين وحقوقهم وحقوق أزواجه وأضيافه والوافدين إليه ؛ لئلا يقتدى به كل أحد فيؤدى إلى الضرر فى حق بعضهم ، وكان حق السائل أن يقول: كم أصوم أو كيف أصوم ؟ فيخص السؤال بنفسه ليجيبه بما تقتضيه حاله كما أجاب غيره بمقتضى أحوالهم [٣].

---

(١) هكذا مبهماً ولم أقف على تعيينه فى قول أحد من أهل العلم .

(٢) صحيح مسلم – كتاب : الصيام – باب : استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر ويوم عرفة ويوم عاشوراء ، والاثنين والخميس ٢/٨١٨ – ٨١٩ رقم ١٩٦ ، سنن أبى داود – كتاب : الصوم – باب : فى صوم الدهر تطوعاً ٢ / ٣٢١ – ٣٢٢ رقم ٢٤٥٢ .

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم ٤/٣٠٨.

رأى عمر ﷺ الغضب على رسول الله ﷺ وفهم السبب الدافع إليه ، فإذا به يعلن الرضا بمنهج الله عز وجل وتصديق رسول الله ﷺ فيما جاء به من منهج – تأمل حرصه – في دفع الغضب عن النبى ﷺ " فجعل عمر ﷺ يردد هذا الكلام حتى سكن غضبه "– دون التكلف فى طلب ما يدفع إلى غضبه ﷺ وكأن أسئلته ﷺ بعدُ ، تدفع أن يفهم أن مجرد السؤال لطلب الأحكام والآداب تغضبه ﷺ؛ لأن الإجابة جاءت واضحة منه ﷺ على أسئلة عمر ﷺ ، إذ هى بعيدة عن التكلف وإحداث ما يوقع الأمة فى العنت والمشقة ، كيف ومجلس السؤالين واحد ؟ لكن هيهات بين أسئلة توقع فى المشكلات وأسئلة يحل المشرع ﷺ بها المعضلات .

على هذه الصورة من الحرص على دفع الغضب عنه ﷺ ، ودفعاً للتكلف فى الأسئلة يداوم عمر ﷺ .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى أبى موسى الأشعرى قال : سئل رسول الله ﷺ عن أشياء كرهها ، فلما أكثروا عليه المسألة [1] غضب ، وقال : سلونى [2]، فقام رجل فقال : يا رسول الله من أبى ؟ قال : أبوك حذافة ثم قام آخر فقال : يا رسول الله من أبى ؟ فقال : " أبوك سالم مولى شيبة " فلما رأى عمر ما بوجه رسول الله ﷺمن الغضب قال : إنا نتوب إلى الله عز وجل [3] .

هكذا يحرص عمر ﷺ على دفع الغضب عن رسول الله ﷺ ، ويشاركه الصحب الكرام فى ذلك، إذ الجميع حريص كعمر ﷺ فى مراقبة أحواله ﷺ، ودفع عارض الغضب عنه .

---

(١) نقل الحافظ ابن حجر : قال ابن عبد البر : سئل مالك عن معنى النهى عن كثرة السؤال ، فقال : ما أدرى أنهى عن الذى أنتم فيه من السؤال عن النوازل ، أو عن مسألة الناس المال ، قال ابن عبد البر : الظاهر الأول ، وأما الثانى فلا معنى للتفرقة بين كثرته وقلته لا حيث يجوز ولا حيث لا يجوز قال ، وقيل : كانوا يسألون عن الشئ ويلحون فيه إلى أن يحرم ، قال : وأكثر العلماء على أن المراد كثرة السؤال عن النوازل والأغلوطات والتوليدات كذا قال . فتح البارى ٢٨٤/١٣ رقم ٧٢٩١ .

(٢) قال العلماء : هذا القول منه ﷺ محمول على أنه أوحى إليه ، وإلا فلا يعلم كل ما سئل عنه من المغيبات إلا بإعلام الله تعالى ، قال القاضى : وظاهر الحديث أن قوله ﷺ : سلونى إنما قاله غضباً كما قال فى الرواية الأخرى سئل عن أشياء كرهها . شرح النووى على صحيح مسلم ١٢٦/٨ .

(٣) صحيح البخارى – كتاب : الاعتصام بالكتاب : والسنة – باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعينه ٢٢٧٦/٤ رقم ٧٢٩١ .

أخرج مسلم فى صحيحه بإسناده إلى أنس بن مالك ﷺ قال : بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شئ فخطب فقال " عرضت علىَّ الجنة فلم أر اليوم من الخير والشر ، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، قال : فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه ، قال : غطوا رءوسهم ولهم خنين [١]، قال : فقام عمر ﷺ فقال : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ، قال : فقام ذاك الرجل فقال : من أبى ؟ قال: أبوك فلان فنزلت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ}[٢][٣].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : وفى هذا الحديث غير ما يتعلق بالترجمة مراقبة الصحابة أحوال النبى ﷺ وشدة إشفاقهم إذا غضب ، خشية أن تكون لأمر يعم فيعمهم ، وإدلال عمر ﷺ وجواز الغضب فى الموعظة [٤] .

يتابع الإمام على ﷺ أخلاقيات الصحب الكرام ﷺ فى الحرص على دفع الغضب عن رسول الله ﷺ .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى المسور بن محزمة ﷺ قال : إن علياً ﷺ خطب بنت أبى جهل ، فسمعت بذلك فاطمة ، فأتت رسول الله ﷺ فقالت : يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك ، وهذا علىٌّ ناكح بنت أبى جهل ، فقام رسول الله ﷺ فسمعته حين تشهد يقول: "أما بعد، أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثنى وصدقنى، وإن فاطمة – رضى الله عنها – بضعة [٥] منى ، وإنى أكره أن يسوءها ، والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله عند رجل واحد " فترك علىٌّ الخطبة [٦].

---

(١) الخنين : ضرب من البكاء دون الانتحاب ، وأصل الخنين : خروج الصوت من الأنف . النهاية فى غريب الحديث ٢/٨٠ .

(٢) سورة المائدة : الآية ١٠١ .

(٣) صحيح مسلم – كتاب : الفضائل – باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ١٨٣٢/٤ رقم ١٣٤، صحيح البخارى – كتاب : التفسير – باب " لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم " ١٤٠٩/٣ رقم ٤٦٢١ .

(٤) فتح البارى ١٣/ ٢٨٤ رقم ٧٢٩١ بتصرف يسير .

(٥) البضعة : بالفتح : القطعة من اللحم ، وقد تكسر ، أى أنها جزء منى ، كما أن القطعة من اللحم جزء من اللحم . النهاية فى غريب الحديث ١/١٣٣ .

(٦) صحيح البخارى – كتاب : فضائل الصحابة – باب ذكر أصهار النبى ﷺ ، منهم العاص بن الربيع ١١٤٦/٣ رقم ٣٧٢٩ ، صحيح مسلم – كتاب : فضائل الصحابة – باب فضل فاطمة بنت النبى ﷺ عليها الصلاة والسلام ١٩٠٣/٤ – ١٩٠٤ رقم ٩٦ .

إن ما يدخل السوء أو الغضب ، أو ما يدفع بالمرأة إلى عدم إتيان الزوج حقه – كما حدث للسيدة فاطمة – رضى الله عنها – يغضب رسول الله ﷺ ويدفع به إلى دفع ذلك عن فاطمة – رضى الله عنها – وإن كان ذلك الدافع شيئاً أحله التشريع الإسلامى، لكن مراعاة علو قدر السيدة فاطمة –رضى الله عنها – لابد وأن يراعى ويحفظ ، على هذا النحو كان الحدث ، وأحسن الإمام على ﷺ فهمه لذلك ، فإذا به يحرص على دفع الغضب عن رسول الله ﷺبإزالة الأسباب الداعية إليه ، فيترك خطبة بنت أبى جهل لا لحرمة فى ذلك ، وإنما مراعاة لحال رسول الله ﷺ وحال ابنته – رضى الله عنها – فى عدم إدخال الغضب عليهما .

يقول الإمام النووى رحمه الله تعالى : قال العلماء : فى هذا الحديث تحريم إيذاء النبى ﷺ بكل حال وعلى كل وجه ، وإن تولد ذلك الإيذاء مما كان أصله مباحاً وهو حى ، وهذا بخلاف غيره ، قالوا : وقد أعلم ﷺ بإباحة نكاح بنت أبى جهل بقوله " لست أحرم حلالا " [1] ولكن نهى عن الجمع بينهما لعلتين منصوصتين إحداهما : أن ذلك يؤدى إلى أذى فاطمة – رضى الله عنها – فيتأذى حينئذ النبى ﷺ فيهلك من أذاه ، فنهى عن ذلك لكمال شفقته على علىّ ﷺ ، وعلى فاطمة – رضىُ الله عنها – والثانية : خوف الفتنة عليها بسبب الغيرة ، وقيل : ليس المراد به النهى عن جمعهما ، بل معناه : أعلم من فضل الله أنهما لا تجتمعان ، ويحتمل أن يكون المراد تحريم جمعهما ، ويكون معنى " لا أحرم حلالاً " ، أى لا أقول شيئاً يخالف حكم الله فإذا أحل شيئاً لم أحرمه ، وإذا حرمه لم أحلله ، ولم أسكت عن تحريمه ؛ لأن سكوتى تحليل له، ويكون من جملة محرمات النكاح الجمع بين بنت نبى الله وبنت عدو الله [2] .

وأضاف الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : وكان النبى ﷺ قلَّ أن يواجه أحداً مما يعاب به ، ولعله إنما جهر بمعاتبة على ﷺ ، مبالغة فى رضا فاطمة عليها السلام ، وكانت هذه الواقعة بعد فتح مكة ، ولم يكن حينئذ تأخر من بنات النبى ﷺ غيرها ، وكانت قد أصيبت بعد أمها بأختها ، فكان إدخال الغيرة عليها مما يزيد حزنها [3].

---

(١) صحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة –باب فضائل فاطمة بنت النبى عليها الصلاة والسلام ١٩٠٣/٤ رقم ٩٥

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ٢٤٣/٨ .

(٣) فتح البارى ١٠٨/٧ رقم ٣٧٢٩ .

أحسن الإمام علي ﷺ فهم العتاب ، فإذا به يسارع إلى إغلاق الباب الذى يأتى منه ما يغضب فاطمة – رضى الله عنها – وأبيها ﷺ ، حرصاً على رضاها ، وطلباً لدوام سرورها ، وطمعاً فى حسن العشرة فيما بينه وبينهما .

ثم تأتى السيدة عائشة – رضى الله عنها – بصورة أخرى من الفضل ، دفعاً للغضب عن رسول الله ﷺ ، فإذا بها تسارع بالدعاء على من أدخل الغضب عليه ﷺ ، بأن يدخله الله النار ، وكأنها ترى أن العقوبة المثلى لمن يغضب رسول الله ﷺأن يدخل النار .

أخرج مسلم فى صحيحه بإسناده إلى عائشة – رضى الله عنها – أنها قالت : قدم رسول الله ﷺ لأربع مضين من ذى الحجة أو خمس ، فدخل علىٌ وهو غضبان ، فقلت :من أغضبك يا رسول الله! أدخله الله النار قال : " أو ما شعرت أنى أمرت الناس بأمر فإذا بهم يترددون ؟ ، (قال الحكم [١]: كأنهم يترددون أحسب) ولو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت [٢] ، ما سقت الهدى معى حتى أشتريه ، ثم أحل كما حلوا " [٣].

قال الإمام النووى رحمه الله تعالى : أما غضبه ﷺ فلانتهاك حرمة الشرع ، وترددهم فى قبول حكمه ، وقد قال الله تعالى { فَلا وربِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً }[٤] فغضب ﷺ لما ذكرناه من انتهاك حرمة الشرع ، والحزن عليهم فى نقص إيمانهم بتوقفهم ، وفيه : دلالة على استحباب الغضب عند انتهاك حرمة الدين ، وفيه : جواز الدعاء على المخالف لحكم الشرع [٥] .

---

(١) أحد رواه الحديث فى الإسناد .

(٢) هذا دليل على جواز قول : " لو فى التأسف على فوات أمور الدين ومصالح الشرع ولما الحديث " لو تفتح عمل الشيطان " فمحمول على التأسف على حظوظ الدنيا ونحوها ، وقد كثرت الأحاديث الصحيحة فى استعمال" لو " فى غير حظوظ الدنيا ونحوها ، فيجمع بين الأحاديث بما ذكرناه – شرح النووى على صحيح مسلم ٤/٤٢٠ .

(٣) صحيح مسلم – كتاب : الحج – باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران ٢/٨٧٩ رقم ١٣٠ ، سنن ابن ماجه – كتاب : المناسك – باب: فسخ الحج ٢ / ٩٩٣ رقم ٢٩٨٢، مسند الإمام أحمد ٦ / ١٧٥ رقم ٢٥٤٦٤ .

(٤) سورة النساء : الآية ٦٥ .

(٥) شرح النووى على صحيح مسلم ٤/٤٢٠ .

قد يحدث بعض الصحب الكرام رسول الله ﷺ بعض الأخبار التى يرى أن من حق رسول الله ﷺ عليه أن يخبره بها ، لكنه لما يرى سوء وقعها على رسول الله ﷺ بإدخالها الغضب عليه ﷺ ، إذا به يندم لإدخاله الغضب على رسول الله ﷺ دون أن يقصد إلى ذلك .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى عبد الله ﷺ قال : قسم النبى ﷺ قسمة كبعض ما كان يقسم ، فقال رجل من الأنصار[١] والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله ، قلت: أما لأقولن للنبى ﷺ ، فأتيته وهو فى أصحابه فساررته ، فشق ذلك على النبى ﷺ وتغير وجهه وغضب ، حتى وددت أنى لم أكن أخبرته ، ثم قال : " قد أوذى موسى – عليه السلام – بأكثر من ذلك فصبر " [٢] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : وفى هذا الحديث جواز إخبار الإمام وأهل الفضل بما يقال فيهم مما لا يليق بهم ليحذروا القائل ، وفيه بيان ما يباح من الغيبة والنميمة ؛ لأن صورتها موجودة فى صنيع ابن مسعود ﷺ هذا ، ولم ينكره النبى ﷺ ، وذلك أن قصد ابن مسعود ﷺ كان نصح النبى ﷺ وإعلامه بمن يطعن فيه ممن يظهر الإسلام ويبطن النفاق ليحذر منه ، وهذا جائز كما يجوز التجسس على الكفار ليؤمن من كيدهم ، وقد ارتكب الرجل المذكور بما قال إثماً عظيماً فلم يكن له حرمة ، وفيه أن أهل الفضل قد يغضبهم ما يقال فيهم مما ليس فيهم ، ومع ذلك فيتلقون ذلك بالصبر والحلم كما صنع النبى ﷺ اقتداء بموسى عليه السلام [٣] .

لعل هذا الصنيع من ابن مسعود ﷺ يحمد له من الجهتين ، إذ حرص أولاً على الوقوف فى جوار رسول الله ﷺ بالنصح له فيمن يقصده باللمز ، وثانياً حرصه على دفع الغضب عنه ﷺ نتيجة لهذا الإخبار بندمه على إخباره بذلك ، إذ لو كان يعلم أن يحدث برسول الله ﷺ خلاف ما قصده من النصح لما ذهب إليه .

---

(١) عزى الحافظ ابن حجر إلى الواقدى قوله : أنه معتب بن قشير من بنى عمرو بن عوف وكان من المنافقين . فتح البارى ٦٥٢/٧ رقم ٤٣٣٦ .

(٢) صحيح البخارى– كتاب : الأدب – باب الصبر على الأذى ١٩٢٤/٤ رقم ٦١٠٠ ، صحيح مسلم– كتاب: الزكاة –باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه ٧٣٩/٢ رقم١٤١.

(٣) فتح البارى ٥٢٩/١٠ رقم ٦١٠٠ .

ب ـ دفع أعراض الحزن أو الألم أو التأذى عنه ﷺ :

قد يعرض لرسول الله ﷺما يجلب إلى الحزن والوجوم، وهنا نرى الصحب الكرام ﷺ ، على أتم صور الحرص على دفع ذلك عنه ﷺ .

أخرج مسلم فى صحيحه بإسناده إلى جابر بن عبد الله – رضى الله عنهما – قال : دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ ، فوجد الناس جلوساً ببابه ، لم يؤذن لأحد منهم قال : فأذن لأبى بكر فدخل ، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له ، فوجد النبى ﷺ جالساً حوله نساؤه ، واجماً [١] ساكناً ، قال فقال : لأقولن شيئاً أضحك النبى ﷺ فقال : يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتنى النفقة فقمت إليها فوجأت [٢] عنقها ، فضحك رسول الله ﷺوقال : " هن حوالى كما ترى يسألننى النفقة ، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها ، كلاهما يقول : تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده ، فقلن : والله لا نسأل رسول الله ﷺشيئاً أبداً ليس عنده ، ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين ، ثم نزلت عليه هذه الآية : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً (٢٨) وإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ ورَسُولَهُ والدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً }[٣] ، قال : فبدأ بعائشة – رضى الله عنها – فقال:" يا عائشة : إنى أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلى فيه حتى تستشيرى أبويك " قالت : وما هو؟ يا رسول الله فتلا عليها الآية ، قالت : أفيك يا رسول الله أستشير أبوى ؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذى قلت ، قال : لا تسألنى امرأة منهن إلا أخبرتها ، إن الله لم يبعثنى معنتاً ولا متعنتاً ، ولكن بعثنى معلماً ميسراً " [٤] .

تأمل صنيع عمر بن الخطاب ﷺ وحرصه على إدخال السرور على رسول الله ﷺ بذكره ما يضحك رسول الله ﷺ حتى بلغ مقصده بإدخال السرور على رسول الله ﷺ ، ثم إذا به وبالصديق ﷺ ، يفعلان أمراً يريدا به التفريج ورفع الهم والحزن والوجوم

---

(١) الواجم: الذى أسكته الهم وعلته الكآبة، وقيل: الوجوم: الحزن . النهاية فى غريب الحديث ١٣٨/٥ .

(٢) يقال : وجأته بالسكين وغيرها وجئاً ، إذا ضربته بها . النهاية فى غريب الحديث ١٣٣/٥ .

(٣) سورة الأحزاب الآيتان : ٢٨-٢٩ .

(٤) صحيح مسلم – كتاب الطلاق – باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنيــة ١١٠٤/٢-١١٠٥ رقم ٢٩

عنه ﷺ ، فيجأ كل واحد منهما عنق ابنته ، محذراً إياها أن تفعل أو تحدث ما يدخل الحزن عليه ﷺ ، حتى أصابا غرضهما فى هذا الأمر بأخذ القسم من ابنتيهما ألا تسألان رسول الله ﷺ شيئاً ليس عنده ، إذ كان هو الأصل فى وجومه ساكتاً ﷺ.

قد يحزن رسول الله ﷺ ويألم فى نفسه – كما سبق – وقد يكون ألمه ﷺ وحزنه لما ألمَّ بغيره من حاجة تستدعى ذلك رحمة وشفقة منه ﷺ على أمته ، فإذا بالصحب الكرام فى هذه أيضاً يحرصون على التفريج عنه ﷺ وإزالة ما عرض له من ألم .

أخرج مسلم فى صحيحه بإسناده إلى المنذر بن جرير عن أبيه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فى صدر النهار ، قال : فجاء قوم حفاة عراة مجتابى النمار [١] أو العباء [٢] ، متقلدى السيوف عامتهم من مضر [٣] ، بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى من الفاقة ، فدخل ثم خرج ، فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[٤] ، والآية التى فى الحشر { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ولْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ واتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [٥] ، تصدق رجل من دينار ، من درهمه من ثوبه ، من صاع بره ، من صاع تمره" حتى قال : ولو بشق تمرة " ، قال : فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ، قال : ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل[٦] كأنه مذهبة [٧]،

---

(١) مجتابى : أى لابسيها ، يقال : اجتبت القميص والظلال : أى دخلت فيها ، وكل شئ قطع وسطه فهو مجُوب ومُجَوَّب ، وبه سمى جيب القميص ... وكل شملة مخططة من مآزر الأعراب فهى نمرة ، وجمعها : نمار ، كأنها أخذت من لون النمر ، لما فيها من السواد والبياض ، وهى الصفات الغالبة أراد أنه جاء قوم لابسى أزر مخططة من صوف. النهاية فى غريب الحديث ٢٩٩/١، ١٠٣/٥.

(٢) هو ضرب من الأكسية ، الواحدة عباءة وعباية وقد تقع على الواحد ؛ لأنه جنس . النهاية فى غريب الحديث ١٥٩/٣ .

(٣) مضر بن نزار : قبيلة عظيمة من العدنانية ، كانت ديارهم حيز الحرم إلى السروات ، وما دونها من الغور وما والاها من البلاد ، وكانوا أهل الكثرة والغلب بالحجاز . معجم قبائل العرب ٣ / ١١٠٧ .

(٤) سورة النساء : الآية ١ .

(٥) سورة الحشر : الآية ١٨.

(٦) أى استنار وظهرت عليه أمارات السرور . النهاية فى غريب الحديث ٢٣٤/٥ .

(٧) من الشئ المذهب ، وهو المموه بالذهب ، أو من قولهم: فرس مذهب، إذا علت حمرته صفرة، والأنثى مذهبة وإنما خص الأنثى بالذكر لأنها أصفى لوناً وأرق بشرة. النهاية فى غريب الحديث ١٦٠/٢ .

فقال رسول الله ﷺ : " من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شئ ، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شئ"(١).

صورتان مختلفتان بدتا على وجه رسول الله ﷺ إحداهما : تظهر ألمه ﷺ وحزنه لما رأى من الفاقة على أناس من أمته ، فإذا به تتغير حركاته ﷺ دخولاً وخروجاً – إضافة إلى تغير وجه ﷺ – ، فيحث على البذل والإنفاق على أبلغ ما يكون النصح والإرشاد ، كما يظهر ذلك قراءته ﷺ للآيتين الكريمتين التى تجعل الأخوة فى الخلقة من نفس واحدة هى الرابط بين البشر ، والتى تدعو إلى التقديم ليوم لا ينفع المرء – بعد رحمة الله عز وجل – إلا ما قدمت يداه ، وهنا ترى أحد الصحب الكرام يسارع فى تلبية مراد رسول الله ﷺ ، حريصاً على إزالة مظهر الألم عنه ﷺ ، كحرصه على نوال فضيلة البذل والإنفاق .

يقول الإمام النووى رحمه الله تعالى : وكان الفضل العظيم للبادئ بهذا الخير والفاتح لباب الإحسان (٢).

لكن موطن الفضل لم يقتصر عليه ﷺ ، وإنما شاركه كثير من الصحب الكرام قصداً لما قصد إليه ، وحرصاً على تلبية نصح الداعى إلى الخير ﷺ حتى أحدث هذه الصورة الثانية التى أظهرت إشراق وجهه ﷺ على أتم صور البشر والإشراق والسرور .

قال الإمام النووى رحمه الله تعالى : وأما سبب سروره ﷺ ففرحاً بمبادرة المسلمين إلى طاعة الله تعالى ، وبذل أموالهم لله ، وامتثال أمر رسول الله ﷺ ، ولدفع حاجة هؤلاء المحتاجين وشفقة المسلمين بعضهم على بعض ، وتعاونهم على البر والتقوى ، وينبغى للإنسان إذا رأى شيئاً من هذا القبيل أن يفرح ويظهر سروره ، ويكون فرحه لما ذكرناه (٣) .

---

(١) صحيح مسلم – كتاب : الزكاة – باب : الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار ٢/٧٠٤– ٧٠٥ رقم ٦٩ ، سنن النسائى – كتاب : الزكاة – باب : التحريض على الصدقة ٥ / ٧٥ – ٧٧ ، مسند الإمام أحمد ٤ / ٣٥٨ – ٣٥٩ رقم ١٩١٩٧ .

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ٤/١١٣ .

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم ٤/١١٣

هناك بعض الأعراض التى قد يتأذى منها رسول الله ﷺ جسدياً إضافة إلى التأذى النفسى كما سبق فى بعض الأمثلة - ، فإذا بالصحب الكرام ﷺ فى هذا أيضاً يحرصون على دفع ما يتأذى منه ﷺ طلباً لسلامته ، ورغبة فى دوام أمنه وحفظاً لقوام أعضائه ، إذ يصعب أن يقف أصحاب رسول الله ﷺ مكتوفى الأيدى ، وشئ يمس بسلامة رسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى أنس بن مالك ﷺ : أنه أقبل هو وأبو طلحة [١] مع النبى ﷺ ، ومع النبى ﷺ صفية مردفها على راحلته ، فلما كانوا ببعض الطريق عثرت الناقة ، فصرع النبى ﷺ والمرأة ، وإن أبا طلحة - قال : أحسب قال - اقتحم عن بعيره فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا نبى الله جعلنى الله فداءك ، هل أصابك من شئ ؟ قال : لا ، ولكن عليك بالمرأة فألقى أبو طلحة ثوبه على وجهه فقصد قصدها ، فألقى ثوبه عليها فقامت المرأة ، فشد عليها على راحلتهما فركبا ، فساروا حتى إذا كانوا بظهر المدنية - أو قال : أشرفوا على المدنية - قال النبى ﷺ : " آيبون تائبون عابدون ، لربنا حامدون " فلم يزل يقولها ، حتى دخل المدينة " [٢] .

انتبه لانفعال صاحب رسول الله ﷺ " اقتحم عن بعيره فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا نبى الله جعلنى الله فداءك ، هل أصابك من شئ ؟ " لتعلم يقيناً حرص الصحب الكرام على سلامة رسول الله ﷺ إذ أنفسهم وأبدانهم فداءً لرسول ﷺ ، ثم انظر إلى عظيم أدبه أن يؤذى رسول الله ﷺ فى أهله " فألقى أبو طلحة ثوبه على وجهه فقصد قصدها ، فألقى ثوبه عليها " ليتضح لك أخلاقاً سامية وضع أساسها أصحاب رسول الله ﷺ ، دفعاً أن يؤذى ﷺ أو يمس بسوء .

ثم أعجب بهذا الأدب الراقى فى دفع ما يمكن أن يتأذى به رسول الله ﷺ وإن كان شيئاً يسيراً ، قد يتسامح فى دفعه ، أو لا يعطى كل هذه الأهمية من عدم مراعاة تأذى رسول الله ﷺ منه .

---

(١) هو : زيد بن سهل بن الأسود الأنصارى الخزرجي أبو طلحة ، مشهور بكنيته ، كان من فضلاء الصحابة وهو زوج أم سليم شهد العقبة وبدراً ، وغيرهما مات سنة أربع وثلاثين وصلى عليه عثمان رضى الله عنه ، وقيل : قبلها بسنتين ، وقيل : سنة خمسين أو إحدى وخمسين ، مات غازياً فى البحر فما وجدوا جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام ولم يتغير . الإصابة ٣ / ٢٩٠٠٢٨ ترجمة ٢٨٩٩ .

(٢) صحيح البخارى - كتاب : الجهاد والسير - باب ما يقول إذا رجع من الغزو ٢/٩٤٨ رقم ٣٠٨٦، صحيح مسلم - كتاب : النكاح - باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها ٢/١٠٤٦ رقم ٨٦ .

أخرج مسلم فى صحيحه بإسناده إلى أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " ولَدَ لى الليلة غلام ، فسميته باسم أبى إبراهيم " ثم دفعه إلى أم سيف [١] امرأة قين يقال له أبو سيف[٢]، فانطلق يأتيه واتبعته ، فانتهينا إلى أبى سيف وهو ينفخ بكيره [٣]، قد امتلأ البيت دخاناً ، فأسرعت المشى بين يدى رسول الله ﷺ ، فقلت : يا أبا سيف ، أمسك جاء رسول الله ﷺ فأمسك ، فدعا النبى ﷺ بالصبى فضمه إليه ، وقال : ما شاء الله أن يقول " [٤] .

مجرد دخان فى البيت من صاحب الصنعة إذا بصاحب رسول الله ﷺ أنس بن مالك ﷺ ، يحرص على دفعه أن يوجد فى البيت ، حتى لا يتأذى به رسول الله ﷺ الذى جاء لرؤية ابنه إبراهيم عليه السلام ، فإذا بالقين يكف عن نفخ كيره مراعياً حرمة رسول الله ﷺ ، ومعظماً لقدره ﷺ أن يتأذى بنتاج عمله هذا ، فكانت النتيجة طيبة فى ذهاب الدخان ، ونظافة الجو من ذلك الغبار والرماد الذى يتأذى منه ، فطاب لرسول الله ﷺ الهواء ، إذ زال ما به من مصدر للإيذاء .

إنه خلق فى الفضل لابد أن يذكر فيشكر ، ويعرف قدر من قام به محبة لرسول الله ﷺ وحرصاً على سلامته من التأذى ، كما يعرف من خلاله علو قدر رسول الله ﷺ عند أصحابه الكرام ، بحيث تحقق لديهم وجوب دفع ما يتأذى به ﷺ ، ولو على أقل صور التأذى ، لكنه رسول الله ﷺ فى ارتفاع شأنه ، وإعظام مكانته .

ت : دفع ما ينافى الهيبة أو يقتضى الانتقاص من الأعراض عنه ﷺ :

هناك بعض المواقف قد تقع لرسول ﷺ، فيظهر من خلالها ما يوهم عدم هيبته ﷺ، أو كونه ليس أهلاً لأن يهاب ، أو تثبت الهيبة لغيره ﷺ فى مجلسه ، فماذا يفعل أصحابه الكرام ﷺ فى مثل هذه المواقف ؟

---

(١) أم سيف : مرضعة ابن النبى ﷺ امرأة أبى سيف القين . الإصابة ٨ / ٢٤٦ ترجمة ١٣٣٠ .

(٢) أبو سيف القين: وهو الحداد، كان من الأنصار، وهو زوج أم سيف مرضعة إبراهيم ولد النبى ﷺ. الإصابة ٧ / ٩٤-٩٥ ترجمة ٥٨١ .

(٣) الكير بالكسر : كير الحداد ، وهو المبنىُ من الطين ، وقيل الزق الذى ينفخ به النار ، والمبنـــى : الكور . النهاية فى غريب الحديث ١٨٨/٤ .

(٤) صحيح مسلم – كتاب : الفضائل – باب رحمته ﷺ على الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلـك ١٨٠٧/٤ رقم ٦٢ ، مسند الإمام أحمد ٣ / ١٩٤ رقم ١٣٠٣٧ .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى محمد بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال : استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ ، وعنده نسوة من قريش [١] يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته [٢] ، فلما استأذن عمر بن الخطاب ﷺ قمن فبادرن الحجاب " فأذن له رسول الله ﷺ ، فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك ، فقال عمر ﷺ : أضحك الله سنك يا رسول الله ، فقال النبى ﷺ : " عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب " فقال عمر : فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله، ثم قال عمر : يا عدوات أنفسهن أتهبننى ولا تهبن رسول الله ﷺ؟ فقلن : نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ ، فقال : رسول الله ﷺ : إيهاً [٣] يا ابن الخطاب ، والذى نفسى بيده ، ما لقيك الشيطان سالكاً فجا قط إلا سلك فجاً غير فجك " [٤] .

موقف يحمد لعمر بن الخطاب ﷺ ، إذ ما إن أخبر بهيبة النساء له ﷺ "عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب" – إذا به يسارع فى إثبات هذا الحق لأهله ، فرسول الله ﷺ أحق بأن يهاب وأن يعرف له قدره ، بحيث لا يستكثر بإلحاح ، ولا يرتفع صوت على صوته ﷺ ولو من أقرب الناس إليه ، بهذا تحدث ﷺ ، لكن الإجابة تأتى على وجهها منهن ، إذ الرحمة والشفقة ولين الجانب من قبل النبى ﷺ ، ومعرفة أن مثل تلك المواقف لا تؤذيه ﷺ ، جعل منهن ينفعلن مع رسول الله ﷺ هكذا ، أما عمر ﷺ فإن شدته وقوته لابد أن يعرف لها قدرها ، ومع هذا فإن موقف عمر ﷺ عرف له بالرضا من قبل النبى ﷺ .

---

(١) هن من أزواجه ﷺ ويحتمل أن يكون معهن من غيرهن لكن قرينة " يستكثرنه " يؤيد الأول ، والمراد يطلبن منه أكثر مما يعطيهن . فتح البارى ٥٧/٧ رقم ٣٦٨٣ .

(٢) نقل ابن حجر عن ابن التين قوله : يحتمل أن يكون ذلك قبل نزول النهى عن رفع الصوت على صوته ، أو كان ذلك طبعهن انتهى ، وقال غيره : يحتمل أن يكون الرفع حصل من مجموعهن لا أن كل واحدة منهن كان صوتها أرفع من صوته ، وفيه نظر ، قيل : ويحتمل أن يكون فيهن جهيرة ، أو أن النهى خاص بالرجال وقيل فى حقهن للتنزيه ، أو كن فى حال المخاصمة فلم يتعمدن ، أو وثقن يعفوه ويحتمل فى الخلوة ما لا يحتمل فى غيرها . فتح البارى ٥٧/٧ –٥٨ رقم ٣٦٨٣ .

(٣) هذه كلمة يراد بها الاستزادة ، وهى مبنية على الكسر ، فإذا وصلت نونت فقلت إيهٍ حدثنا ، وإذا قلت : إيها بالنصب فإنما تأمره بالسكوت . النهاية فى غريب الحديث ٨٧/١ .

(٤) صحيح البخارى – كتاب : فضائل الصحابة – باب : مناقب عمر بن الخطاب أبى حفص القرشى العدوى ﷺ ٣ /١١٣٣ رقم ٣٦٨٣ ، صحيح مسلم – كتاب : فضائل الصحابة – باب : من فضائل عمر ﷺ ٤ / ١٨٦٣ – ١٨٦٤ رقم ٢٢ ، مسند الإمام أحمد ١ / ١٧١ رقم ١٤٧٢ .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى نقلاً عن الطيبى قوله : الأمر بتوقير رسول الله ﷺ مطلوب لذاته تحمد الزيادة منه ، فكأن قوله ﷺ " إيه " استزادة منه فى طلب توقيره وتعظيم جانبه ، ولذلك عقبة بقوله " والذى نفسى بيده ... الخ " فإنه يشعر بأنه رضى مقالته وحمد فعاله [١] .

إن الشجاعة والثبات فى ساحات القتال من خصال الرجال ، وهى صفة مدح يذكر صاحبها بالفضل والثناء ، لاسيما إذا كانت فى سبيل الله عز وجل نصرة لدينه ورفعة لراية منهجه سبحانه ، ورسول الله ﷺ سيد الشجعان ، والمقدم على غيره فى هذا الخلق الفاضل، عرف هذا منه أصحابه الكرام ﷺ فأظهروا له ذلك الفضل ، وأقَروَا فى حقه بالثبات عند مواجهة الأعداء .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى أبى إسحاق : قال رجل [٢] للبراء بن عازب – رضى الله عنهما – : أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين ؟ قال : لكن رسول الله ﷺ لم يفر ، إن هوازن كانوا قوماً رماة ، وإنا لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا ، فأقبل المسلمون على الغنائم فاستقبلونا بالسهام ، فأما رسول الله ﷺ فلم يفر، فلقد رأيته وإنه لعلى بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان [٣] آخذ بلجامها والنبى ﷺ يقول : " أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب " [٤] .

السائل مطلبه معرفة فرار أصحاب رسول الله ﷺ من عدمه يوم حنين ، ولم يسأل عن ثبات رسول الله ﷺ من عدمه ، لكن الصحابى الجليل ﷺ ، لم يطل له الجواب عن حالهم هم يومئذ ، ثم يبين له الفضيلة فى ثبات رسول الله ﷺ ، وإنما بادر ﷺ بدفع نقيصة الفرار عن رسول الله ﷺ ، لئلا يقع فى الذهن إن تأخر إظهار هذا الأمر ، أن

---

(١) فتح البارى ٥٨/٧ رقم ٣٦٨٣ .

(٢) لم أقف على اسمه ، وقد ذكر فى الرواية الثالثة أنه من قيس . فتح البارى ٧ / ٦٢٣ رقم ٤٣١٥، والحافظ ابن حجر يشير إلى رواية البخارى فى صحيحه من حديث أبى إسحاق سمع البراء وسأله رجل من قيس . كتاب : المغازى – باب : قول الله تعالى : { ويوم حنين ... } ٣ / ١٣٠٣ رقم ٤٣١٧ .

(٣) أى : ابن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم وهو ابن عم النبى ﷺ وكان إسلامه قبل فتح مكة ؛ لأنه خرج إلى النبى ﷺ فلقيه فى الطريق وهو سائر إلى فتح مكة فأسلم وحسن إسلامه – فتح البارى ٦٢٤/٧ رقم ٤٣١٥ .

(٤) صحيح البخارى – كتاب : الجهاد والسير – باب من قاد دابة غيره فى الحرب ٨٨٥/٢ رقم ٢٨٦٤ .

حال رسول الله ﷺ فى الفرار كان كحال بعضهم ، وهذا من فقه البراء ﷺ ، وحسن تصرفه دفعاً لهذا الوهم فى حق المقدم فى الشجاعة رسول الله ﷺ .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : تضمن جواب البراء ﷺ إثبات الفرار لهم، لكن لا على طريق التعميم ، وأراد أن إطلاق السائل يشمل الجميع حتى النبى ﷺ لظاهر الرواية الثانية – " أوليتم مع النبى ﷺ يوم حنين ؟ "[١]– ويمكن الجمع بين الثانية والثالثة – " أفررتم عن رسول الله يوم حنين ؟ – بحمل المعية على ما قبل الهزيمة فبادر إلى استثنائه، ثم أوضح ذلك وختم حديثه بأنه لم يكن يومئذ أشد منه ﷺ[٢] .

وأضاف الإمام النووى رحمه الله تعالى – مظهراً فضيلة البراء ﷺ فى جميل جوابه – قائلاً : هذا هو الجواب الذى أجاب به البراء ﷺ من بديع الأدب ؛ لأن تقدير الكلام فررتم كلكم فيقتضى أن النبى ﷺ وافقهم فى ذلك ، فقال البراء ﷺ : لا والله ما فر رسول الله ﷺ ، ولكن جماعة من الصحابة جرى لهم كذا وكذا [٣] .

ثم إياك أن تتوهم أن أصحاب رسول الله ﷺ ممن فر يومئذ أصابهم شئ خلاف الشجاعة مما يؤدى إلى انتقاصهم ، إذ فرار من فر يومئذ كان عن أسباب ودوافع مقبولة يتسامح فى مثلها التشريع الإسلامى الحنيف .

أخرج مسلم فى صحيحه بإسناده إلى أبى إسحاق قال : قال رجل للبراء : يا أبا عمارة ! أفررتم يوم حنين ؟ قال : لا والله ما ولىَّ رسول الله ﷺ ، ولكنه خرج شبان أصحابه وإخفاؤهم حسراً [٤] ليس عليهم سلاح ، أو كثير سلاح فلقوا قوماً رماة لا يكاد يسقط لهم سهم ، جمع هوزان [٥] وبنى نصر ، فرشقوهم رشقاً[٦] ، ما يكادون يخطئون، فأقبلوا هناك إلى رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ على بغلته البيضاء ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به فنزل فاستنصر وقال :

---

(١) صحيح البخارى –كتاب المغازى– باب قوله تعالى {ويوم حنين .... } ٣/١٣٠٢-١٣٠٣ رقم ٤٣١٦.

(٢) فتح البارى ٧/٦٢٣ رقم ٤٣١٥ .

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم ٦/٣٦١ .

(٤) هم الذين لا متاع معهم ولا سلاح . النهاية فى غريب الحديث ٢/٥٢ .

(٥) هوزان بن منصور وهم بنو هوزان بن منصور بن عكرمة ، له أفخاذ كثيرة وغزا رسول الله ﷺ هوزان بوادى حنين بعد فتح مكة . معجم قبائل العرب ٣ / ١٢٣١ – ١٢٣٢ .

(٦) الرشق : مصدر رشقه يرشقه رشقاً ، إذا رماه بالسهام . النهاية فى غريب الحديث ٢/٢٠٦ .

أنا النبى لا كذب ∴ أنا ابن عبد المطلب

ثم صفهم [١] .

رمى العدو ودقته فى ذلك ، لابد أن تكون سبباً للفرار هرباً من دقة سداده ، ثم لم يلبث الأمر إلا يسيراً حتى التأم الجمع وكان النصر .

أخرج مسلم فى صحيحه بإسناده إلى ابن عباس -رضى الله عنهما- وفيه - "فقال رسول الله ﷺ : " أى عباس ناد أصحاب السمرة [٢]، فقال العباس ﷺ : " وكان رجلاً صيتاً [٣] " : فقلت بأعلى صوتى : أين أصحاب السمرة ؟ قال : فو الله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتى ، عطفة البقر على أولادها ، فقالوا : يا لبيك ! يا لبيك قال : فاقتتلوا والكفار والدعوة فى الأنصار ، يقولون : يا معشر الأنصار قال : ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث بن الخزرج [٤] فقالوا : يا بنى الحارث بن الخزرج ، يا بنى الحارث بن الخزرج ، فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته ، كالمتطاول عليها إلى قتالهم ، فقال رسول الله ﷺ : " هذا حين حمى الوطيس " [٥] ، قال : ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن فى وجوه الكفار ، ثم قال : انهزموا ورب محمد ، قال : فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى ، قال : فو الله ما هو إلا أن رماهم بحصياته ، فما زلت أرى حدهم كليلاً [٦] وأمرهم مدبراً " [٧] .

---

(١) صحيح مسلم - كتاب : الجهاد والسير - باب فى غزوة حنين ٣/١٤٠٠ رقم ٧٨ .

(٢) وهى الشجرة التى كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية . النهاية فى غريب الحديث ٣ / ٣٥٩

(٣) أى : شديد الصوت عالية. النهاية فى غريب الحديث ٣/٦٠ .

(٤) الخزرج بن حارثة بطن من الأزد من القحطانية ، كانوا يقطنون المدينة مع الأوس ، وقد نشبت بينهما حروب طويلة أشهرها: بعاث، وهو موضع على ليلتين من المدينة. معجم قبائل العرب ١/٣٤٢ .

(٥) الوطيس : شبه التنور ، وقيل : هو الضراب فى الحرب ، وقال الأصمعى : هو حجارة مدورة إذا حميت لم يقدر أحد يطؤها ، ولم يسمع هذا الكلام من أحد قبل النبى ﷺ ، وهو من فصيح الكلام، عبر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق . النهاية فى غريب الحديث ٥/١٧٧ .

(٦) كل السيف يكل كلالً فهو كليل : إذا لم يقطع ، وطرف كليل : إذا لم يحقق المنظور . النهاية فى غريب الحديث ٤/١٧٢ .

(٧) صحيح مسلم - كتاب : الجهاد والسير - باب : فى غزوة حنين ٣/١٣٩٨ - ١٣٩٩ رقم ٧٦ ، مسند الإمام أحمد ١ / ٢٠٧ رقم ١٧٧٥ .

قال الإمام النووى رحمه الله تعالى : قال العلماء : فى هذا الحديث دليل على أن فرارهم لم يكن بعيداً، وأنه لم يحصل الفرار من جميعهم ، وإنما فتحه عليهم من فى قلبه مرض من مسلمة أهل مكة المؤلفة ، ومشركيها الذين لم يكونوا أسلموا ، وإنما كانت هزيمتهم فجأة لانصبابهم عليهم دفعة واحدة ورشقهم بالسهام ، ولاختلاط أهل مكة معهم ممن لم يستقر الإيمان فى قلبه ، وممن يتربص بالمسلمين الدوائر ، وفيهم نساء وصبيان خرجوا للغنيمة فتقدم إخفاؤهم فلما رشقوهم بالنبل ولوا فانقلبت أولاهم على أخراهم إلى أن أنزل الله تعالى سكينته على المؤمنين كما ذكر الله تعالى فى القرآن[١] .

كما أن الشجاعة فضيلة لها قدرها ، وأهلها أهلاً للمدح والثناء فكذلك خله الصدق ، إذ الصدق يرتفع بشأن صاحبه ، ويعلو به قدره ، وكذا كان رسول الله ﷺ ، فهو الصادق الأمين منذ نشأته ﷺ وشهرته بذلك يعرفها القريب والبعيد ، لكن قد يرد ما يوهم خلاف ذلك ، فإذا بالصحب الكرام يحرصون على إثبات تلك الفضيلة فى حقه ﷺ ،لئلاً ينتقص من قدره بخلافها من رذيلة الكذب .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى على بن أبى طالب ﷺ قال : بعثنى رسول الله ﷺ والزبير وأبا مرثد وكلنا فارس، قال: "انطلقوا حتى تأتوا روضة حاح"[٢] قال أبو سلمة : هكذا قال أبو عوانة : حاح – فإن فيها امرأة معها صحيفة من حاطب بن أبى بلتعة إلى المشركين فأتونى بها ، فانطلقنا على أفراسنا حتى أدركناها حيث قال رسول الله ﷺ : تسير على بعير لها ، وكان كتب إلى أهل مكة بمسير رسول الله ﷺ إليهم فقلنا : أين الكتاب الذى معك ؟ قالت : ما معى كتاب ، فأنخنا بها بعيرها فابتغينا فى رحلها فما وجدنا شيئاً ، فقال صاحباى : ما نرى معها كتاباً قال : فقلت ، لقد علمنا ما كذب رسول الله ﷺ ، ثم حلف علىٌ ﷺ : والذى يحلف به، لتخرجن الكتاب أو

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ٦/٣٦٠ -٣٦١ .

(٢) روضة حاح : حاح بعد الألف وخاء معجمة وهو الصواب ، قال الحموى : هو موضع بين الحرمين يقال له : روضة خاخ بقرب حمراء الأسد من المدينة . معجم البلدان ٢ / ٣٣٥ .

لأجرنك فأهوت إلى حجزتها[١]، وهى محتجزة بكساء ، فأخرجت الصحيفة فأتوا بها رسول الله ﷺ [٢] .

إخبار بأمر غيبى من قبل الصادق ﷺ ، فإذا بالصحب الكرام ﷺ يسارعون فى تصديق إخباره ، حتى تحقق لهم بشائر ذلك بوجودهم للمرأة فى الموطن الذى دلهم عليه ﷺ " حتى أدركناها حيث قال : لنا رسول الله ﷺ " ثم إذا بهم يتابعون إنفاذ ما وجههم إليه ﷺ من قصد الكتاب الذى مع تلك المرأة ، لكنهم بعد البحث فى رحلها لم يجدوا شيئاً ، وهنا يقول صاحبا على – رضى الله عنهما – " ما نرى معها كتاباً " قالا هذا إعلاناً عن الواقع الذى ظهر لهما بعد البحث ، لكن حسن تدارك الإمام على ﷺ ، يقرر صاحباه فى العلم الذى عند مجموعهم من صدقه ﷺ ، ونفى جريرة الكذب عنه ، فيقول : " لقد علمنا ما كذب رسول الله ﷺ" وكأن هذا التقرير أخذ بالأذهان ما غاب عنها من علم يقينى بصدقه ﷺ ، فإذا بالجميع عندهم علم بذلك ، فإذا بالثمار تأتى ناضجة مخبرة بما علموه من صدق النبى ﷺ فى أخباره ، فتخرج المرأة الكتاب الذى معها ، ليشهر تحقيق صدقه ﷺ على يدى أصحابه الكرام ﷺ .

ثـ: مراعاة أعراض الحاجة إلى الطلب والرغبة فى السؤال :

ربما جاءت الأحداث بحاجة تعرض لرسول الله ﷺ تدفعه إلى دعاء الخالق عز وجل لتحقيق حاجته تلك ، وقد تظهر هذه الصورة من الطلب فى منظر من شدة الحاجة والتألم ، إن لم يكن عقبها الإجابة ، وهنا ترى الصحب الكرام ﷺ يهونون على رسول الله ﷺ صورة العناء تلك، ذاكرين بين يديه ﷺ أن الله عز وجل سوف يحقق له ما يرجوه ، إذ عرف ذلك فى حقه ﷺ من قبل الخالق سبحانه ، فعليه ﷺ أن يرتفع بنفسه عند تلك الصورة من المعاناة ، إذ هو أهل لأن يجاب .

أخرج مسلم فى صحيحه بإسناده إلى ابن عباس– رضى الله عنهما – قال : حدثنى عمر بن الخطاب ﷺ ، قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف ، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً ، فاستقبل نبى الله ﷺ القبلة ، ثم مد يديه

---

(١) أصل الحجزة : موضع شد الإزار ، ثم قيل للإزار حجزة للمجاورة ، واحتجز الرجل بالإزار إذا شده على وسطه . النهاية فى غريب الحديث ١ / ٣٣٢ .

(٢) صحيح البخارى – كتاب : استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم – باب : ما جاء فى المتأولين رقم ٦٩٣٩ ٢١٦٦/٤ ، مسند الإمام أحمد ١ / ١٠٥ رقم ٨٢٧ .

فجعل يهتف بربه " اللهم أنجز لى ما وعدتنى ، اللهم آت ما وعدتنى ، اللهم إن تهلك هذه العصابة [١] من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض ، فما زال يهتف بربه ، ماداً يديه، مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر ﷺ فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزامه من ورائه ، وقال : يا نبى الله!كذاك[٢] منا شدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله عز وجل : {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ}[٣]فأمده الله بالملائكة[٤] .

حالة من العناء عرضت لرسول الله ﷺ تظهر مدى بلوغ الحاجة به ﷺ أن ينصر من قبل الخالق عز وجل ، فإذا بالصديق ﷺ فى مشهد إيمانى بحرص على دفع هذا العناء الذى طرأ عليه ﷺ لشدة حاجته ، فيلتزمه ﷺ ويطمئنه على إنجاز الله عز وجل له ما وعده .

لم يكن عند رسول الله ﷺ شك فى إنجاز الله عز وجل له ما وعده من العير أو الجيش ، وإنما كانت الصورة تلك منه ﷺ طلباً للتعجيل فى إظهار بشائر النصر ، لاسيما وكثرة العدو عدداً وعدة متحققة ، فأراد ﷺ أن يعجل بنصرة الله عز وجل لأهل طاعته – مع قلة عددهم وعدتهم – على أرباب معصيته على كثرتهم .

قال الإمام النووى رحمه الله تعالى : قال العلماء : هذه المناشدة إنما فعلها النبى ﷺ ليراه أصحابه بتلك الحال ، فتقوى قلوبهم بدعائه وتضرعه ، مع أن الدعاة عبادة وقد كان وعده الله تعالى إحدى الطائفتين إما العير وإما الجيش ، وكانت العير قد ذهبت وفاتت ، فكان على ثقة فى حصول الأخرى ، ولكن سأل تعجيل ذلك وتنجيزه من غير أذى يلحق بالمسلمين [٥].

---

(١) هم الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين، ولا واحد لها من لفظها. النهاية فى غريب الحديث ٢٢٠/٣.

(٢) " كذاك " هكذا وقع لجماهير رواة مسلم بالذال ، ولبعضهم " كفاك " بالفاء وفى رواية البخارى " حسبك " صحيح البخارى – كتاب : التفسير – باب قوله " سيهزم الجميع ويولون الدبر " ١٥٤٩/٣ رقم ٤٨٧٥ – وكل بمعنى – شرح النووى على صحيح مسلم ٣٢٩/٦ .

(٣) سورة الأنفال : الآية ٩ .

(٤) صحيح مسلم – كتاب : الجهاد والسير – باب الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر ، وإباحة الغنائم ١٣٨٣/٣ –١٣٨٤ رقم ٥٨، صحيح البخارى – كتاب : التفسير – باب " بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر" ١٥٤٩/٣ رقم ٤٨٧٧ .

(٥) شرح النووى على صحيح مسلم ٣٢٩/٦ .

قد يلمس الصحب الكرام ﷺ فى رسول الله ﷺ رغبته فى نوال شئ آخر مما يطمع فى نواله ، لكن حاجة رسول الله ﷺ والرغبة فى تحقيق ما يأمله ويرجوه أحب إليهم من قضاء حاجات ورغبات أنفسهم .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – يحدث : أن عمر بن الخطاب ﷺ حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمى[١] ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ،فتوفى بالمدينة، فقال عمر بن الخطاب : أتيت عثمان بن عفان ، فعرضت عليه حفصة ، فقال : سأنظر فى أمرى ، فلبث ليالى ثم لقينى فقال : قد بدا لى أن لا أتزوج يومى هذا ، قال عمر : فلقيت أبا بكر الصديق ، فقلت : إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر ، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلىَّ شيئاً ، وكنت أوجد عليه منى على عثمان ، فلبثت ليالى ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقينى أبو بكر فقال: لعلك وجدت علىَّ حين عرضت علىَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال عمر: قلت : نعم ، قال أبو بكر : فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليك فيما عرضت علىَّ، إلا أنى كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشى سر رسول الله ﷺ ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها [٢].

فضيلة أخرى فى حق الصديق ﷺ إذ بمجرد فهمه رغبة رسول الله ﷺ فى السيدة حفصة – رضى الله عنها – زوجة له ، لذكره إياه ، أو علمه يقيناً رغبة النبى ﷺ فيها منه ﷺ إذا به ﷺ يتوقف عن جواب سيدنا عمر ﷺ بحاجته إليها أم لا ؛ لأنه يتأنى بالأمر تحقيق مراد رسول الله ﷺ فى خطبتها من عمر ﷺ، ثم يعلن ﷺ معتذراً لعمر ﷺ بأن المانع له من خطبتها لنفسه ، أن رسول الله ﷺ ذكرها – كأنه راغباً فى نكاحها ولم يكن الصديق ﷺ ليقدم إرضاء عمر ﷺ فى قبولها زوجة لنفسه، على حاجة النبى ﷺ إليها ، كما أنه لم يكن ليفشى سر رسول الله ﷺ فى هذا الأمر ، لكن حاله ﷺ فى إرضاء عمر – رضى الله عنه– بمكان ، إذ لو تركها رسول الله ﷺ لقبلها .

---

(١) هو : خنيس بن حذافة بن قيس القرشى السهمى أخو عبد الله ، كان من السابقين ، وهاجر إلى الحبشة ، ثم رجع فهاجر إلى المدينة وشهد بدراً وأصابته جراحة يوم أحد فمات منها ، وكان زوج حفصة بنت عمر – رضى الله عنهما – فتزوجها النبى ﷺ بعده . الإصابة ٢ / ١٤٢ – ١٤٣ ترجمة ٢٢٩٠ .

(٢) صحيح البخارى – كتاب : النكاح – باب : عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير ١٦٤٨/٣-١٦٤٩ رقم ٥١٢٢ ، سنن النسائى – كتاب : النكاح – باب : عرض الرجل ابنته على من يرضى ٦ / ٧٧ – ٧٨ ، مسند الإمام أحمد ٢ / ٢٧ رقم ٤٨٠٧ .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : فيه فضل كتمان السر ، فإذا أظهره صاحبه ارتفع الحرج عمن سمعه ، وفيه عتاب الرجل لأخيه ، وعتبه عليه واعتذاره إليه ، وقد جلبت الطباع البشرية على ذلك ، ويحتمل أن يكون سبب كتمان أبى بكر ذلك أنه خشى أن يبدو لرسول الله ﷺ أن لا يتزوجها فيقع فى قلب عمر انكسار ، ولعل إطلاع أبى بكر على أن النبى ﷺ قصد خطبة حفصة كان بإخباره له ﷺ إما على سبيل الاستشارة ، وإما لأنه كان لا يكتم عنه شيئاً مما يريده حتى ولا ما فى العادة عليه غضاضة ، وهو كون ابنته عائشة – رضى الله عنها – عنده ، ولم يمنعه ذلك من إطلاعه على ما يريد لوثوقه بإيثاره إياه على نفسه ، ولهذا أطلع أبو بكر على ذلك ، قبل إطلاع عمر الذى يقع الكلام معه فى الخطبة [١] .

ما دام الحديث فى هذا الأمر ، فلا مناص عن ذكر هذا الفضل الذى أظهر عمر بن الخطاب ﷺ فى حق رسول الله ﷺ ، فقد يعرض لرسول الله ﷺ ما يراعى فيه غيرة عمر ﷺ لكن لما يقص الخبر على عمر ﷺ إذا به يعلن قولاً وعملاً أن جميع ما يرغب فيه إن قدِّر بين يديه ، فإنه أحب إليه أن يكون بين يدى رسول الله ﷺ .

أخرج البخارى فى صحيحه بإسناده إلى أبى هريرة ﷺ قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال : بينا أنا نائم رأيتنى فى الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر ، فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لعمر ، فذكرت غيرته ، فوليت مدبراً " فبكى عمر وقال : أعليك أغار يا رسول الله ﷺ ؟ [٢] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى قوله : " أعليك أغار " معدود من القلب ، والأصل أعليها أغار منك ؟ قال ابن التين : فيه الحكم لكل رجل بما يعلم من خلقه ، قال : وبكاء عمر ﷺ يحتمل أن يكون سروراً ، ويحتمل أن يكون تشوقاً أو خشوعاً ، وفيه ما كان عليه النبى ﷺ من مراعاة الصحبة ، وفيه فضيلة ظاهرة لعمر ﷺ [٣].

إنها أخلاقيات أهل الإيمان والتصديق برسول الله ﷺ ينفعل بها أصحابه الكرام ﷺ حرصاً على إظهار علو قدره ﷺ ، وعلى حسن رضاهم به نبياً ورسولاً ، وأهلاً لأن يحاط بالإجلال والإعظام والتوقير .

---

(١) فتح البارى ٨٣/٩ رقم ٥١٢٢ .

(٢) صحيح البخارى – كتاب : فضائل أصحاب النبى ﷺ – باب مناقب عمر بن الخطاب أبى حفص القرشى العدوى رضى الله عنه ١١٣٢/٣ رقم ٣٦٨٠ ، صحيح مسلم – كتاب : فضائل الصحابة – باب من فضائل عمر –رضى الله تعالى عنه – ١٨٦٣/٤ رقم ٢١.

(٣) فتح البارى ٥٥/٧ رقم ٣٦٨٠ .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، الذى بفضله ومنّه تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آل وصحبه أجمعين .

وبعد

فهذه بعض النتائج التى أثمرها هذا البحث :

١- منذ أن أظهر رسول الله ﷺ دعوته إلى الدين الإسلامى الحنيف وجهر بذلك ، حتى قوبل بالعداء من قبل المعاندين له من أهله وعشيرته – ومن سواهم – ممن رفض قبول الدعوة ، إذ نطق هؤلاء بأقبح الألفاظ وسفاسف الكلمات فى حقه ﷺ ، تارة تلميحاً وأخرى تصريحاً ، مواجهين له ﷺ حيناً ، وفى غير حضوره ﷺ حيناً آخر .

٢- لم يتوقف العداء لرسول الله ﷺ عند قصده بالقدح لفظاً ، وإنما تعداه إلى صور من الإيذاءات الفعلية ، حيث عدد أهل الكفر والنفاق مواقف الاعتداء على شخص رسول الله ﷺ .

٣- من خلال ما سبق بيانه ، ظهر للعيان أن أصحاب رسول الله ﷺ اجتهدوا وأجهدوا أنفسهم فى الدفع والنصرة لنبى الإسلام ﷺ ، بمختلف الوسائل القولية والفعلية ، حتى أثمر ذلك عن رد كيد أعداء النبى ﷺ عنه .

٤- إن كل ما يصل بالعناء أو الألم إلى شخص رسول الله ﷺ – وإن لم يكن من قبل أعدائه – فإن أصحابه الكرام ﷺ على أتم صور الحرص على دفع ذلك عنه ﷺ ، وإن كلفهم ذلك الكثير من المجابهة مع من أدخل مثل ذلك العناء عليه ﷺ .

٥- حرص الأصحاب ﷺ على نصرة رسول الله ﷺ ، لم تكن أهدافه دنيوية ، وإنما كان محبة فى رسول الله ﷺ ، ورغبة فى حسن العاقبة بين يدى الخالق عز وجل .

٦- إن تعدد مواقف الصحب الكرام ﷺ فى الدفع عنه ﷺ ، يدل على أنه ﷺ بلغ فى علو قدره وسمو منزلته ، عند أصحابه الكرام مبلغاً يقدم فى النصرة على الأنفس والأموال والأولاد .

التوصيات :

من خلال الدراسة السابقة يجب النص على بعض التوصيات كما يلى :

١- تقرير معالى الرفعة فى حقه ﷺ بمختلف الأدلة النقلية والعقلية حتى يعلم أتباعه ﷺ – قبل أعدائه – أنه ﷺ فى علو القدر وسمو المنزلة بمكان يقبح أن ينال بسوء من القول أو الفعل .

٢- وجوب مجابهة أعداء النبى ﷺ الذين قصدوه باللمز والسخرية والاستهزاء بما يقتضى ردعهم وإلجام أفواههم ، بالحجة معتمداً فى موطن الاحتجاج ، وسل الحسام – دفعاً ونصرة – إن تمادى أهل الكفر فى البغى والعناد .

٣- اجتماع علماء الأمة – لاسيما أهل التخصص فى رد شبه ومكائد الأعداء – يداً واحدة فى الدفع عن رسول الله ﷺ ، إذ يجب تفنيد شبه القادحين ، وإحالة ما توهموه – أو اعتمدوه – موطن قدح ، إلى بيان موطن المدح فيه ، وإظهار فضل وفضيلة رسولِ الله ﷺ بعد إزالة مظهر التدليس فى لجاجهم وسفسطتهم.

٤- استغلال جميع الوسائل المتاحة فى هذا العصر – الإنترنت وسواه – لصالح الدين الإسلامى الحنيف ، والداعى إليه ﷺ ، إذ من المتحقق إبراز علو مكانة هذا الدين فى أحكامه وآدابه ورفعة قدر الداعى إليه ﷺ ، إذا أحسن استخدام هذه الوسائل ، كما يمكن من خلالها رد شبه الحاقدين ، ودحض كيد أعداء الإسلام ضده وضد أتباعه .

٥- يجب أن تقرر فى الجامعات الإسلامية – أزهرية وغيرها – مادة علمية يدرسها الشاب المسلم – فتى وفتاة – تتعلق بنبى الإسلام الذى يدينون له بالتبعية ، ولدينه بالولاء ، يتحدث فيها عن علو قدره ﷺ خلقاً وخُلقاً ، كما يظهر من خلالها عظم أخلاقه ﷺ فى شتى المجالات العقدية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية – إلى غير ذلك – ، كما يراعى فيها إظهار شبه أعداء الإسلام متضمنة الجواب عنها وبيان زيفها علمياً ومنهجياً .

أهم مصادر البحث

(١) القرآن الكريم جل من أنزله .

(٢) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب -لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ت ٤٦٣ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت ط أولى ١٤١٥ هـ/١٩٩٥م.

(٣) الإصابة فى تمييز الصحابة - لابن حجر العسقلانى - دار الكتب العلمية - بيروت.

(٤) الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين - لخير الدين الزركلى - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - ط الثامنة ١٩٨٩م .

(٥) سنن أبى داود - سليمان بن الأشعث السجستانى ت ٢٧٥هـ - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت .

(٦) سنن ابن ماجه - لأبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ت ٢٧٥هـ - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة .

(٧) سنن الترمذى (الجامع الصحيح) - محمد بن عيسى بن سورة ت ٢٧٩هـ - دار الحديث - القاهرة .

(٨) سنن النسائى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية السندى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

(٩) شرح النووى على صحيح مسلم - يحيى بن شرف النووى ت ٦٧٦هـ - دار الحديث - القاهرة - ط الأولى ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

(١٠) صحيح البخارى لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل ت ٢٥٦هـ - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ط الثالثة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

(١١) صحيح مسلم- مسلم بن الحجاج القشيرى ت ٢٦١هـ - دار الحديث - ط الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م .

(١٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى - أحمد بن على بن حجر العسقلانى ت ٨٥٢هـ - دار الريان للتراث - ط الأولى ١٤٠٧هـ /١٩٨٦م .

(١٣) لسان العرب – جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقى المصرى – دار صادر – بيروت – لبنان – ط الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

(١٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – لعلى بن أبى بكر الهيثمى ت ٨٠٧ هـ – مكتبة القدسى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م .

(١٥) مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ت ٢٤٢هـ – مؤسسة قرطبة، وطبعة دار الحديث – القاهرة – بتحقيق / أحمد شاكر وأكمله / حمزة الزين – الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥م .

(١٦) معجم البلدان – لأبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى البغدادى – دار صادر – بيروت .

(١٧) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة – عمر رضا كحالة – مؤسسة الرسالة – ط السادسة ١٤١٢هـ /١٩٩١م .

(١٨) النهاية فى غريب الحديث والأثر – المبارك بن محمد بن الأثير الجزرى ت ٦٠٦هـ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.